العَمِيدِيَّات

(٢٧٨)

وقالَ يمدح أبَا الفضْلِ محمّد بنِ الحسيْن بنِ العَمِيد[١] ، حين ورد عليه بأرّجان[٢] فى ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلاث مئة[٣] :

١- بادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

---

(١) قال ابن خلكان عندما تناول ترجمته ٢ /٥٧ : هو أبو الفضل محمد بن أبى عبد الله الحسين ابن محمد الكاتب المعروف بابن العميد ، كان وزير ركن الدولة بن بويه ، والد عضد الدولة وقد تولى وزارته سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة . وكان متوسعًا فى علوم الفلسفة والنجوم . وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد فى زمانه . وكان يسمى الجاحظ الثانى . وذكر الثعالبى فى كتابه اليتيمة ٣ /٢ أنه كان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان سائسًا مدبرًا للملك قائمًا بأموره ، وقصده جماعة من مشاهير الشعراء ومدحوه بأحسن المدائح ، وردّ عليه المتنبى بأرجّان ومدحه بقصائد إحداها التى أولها :

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجرْ دمعك أو جرى

وهى من القصائد المختارة . وقال ابن الهمذانى فى كتابة عيون السير : أعطاه ثلاثة آلاف دينار . وذكر عندما تناول ترجمة جعفر بن الفرات وزير كافور ما نصه ١ /٣٧٢ : ذكر الخطيب أبو زكريا التبريزى فى شرحه ديوان المتنبى أن المتنبى لما قصد مصر ومدح كافورًا مدح الوزير أبا الفضل المذكور بقصيدته الرائية التى أولها :

بـادٍ هـواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

وجعلها موسومة باسمه فكانت إحدى قوافيها : « جعفرا » وكان قد قال فيها :

صغت السواد لأنى كف بشرت بابن الفرات وأنى عبد كَبَّرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان وبها أبو الفضل بن العميد فحول القصيدة إليه وحذف منها لفظ جعفر وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات .

ولعل دارس القصيدة يرى أنها تنطق صارخة بأنها إنما دُبّجت فى ابن العميد ، وليس المتنبى مِمّن يعمل هذا . لأنه أقدر على الشعر من غيره .

(٢) مدينة قديمة فى فارس على الطريق بين شيراز والعراق ، وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير . انظر : ياقوت .

(٣) الواحدى ٧٣٢ : « وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميدى وورد عليه بأرّجان » . التبيان ٢ /١٦٠ : « وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد » . الديوان ٥٣٧ : « وقال يمدح أبا الفضل ابن العميد » . العرف الطيب ٥٦٤ .

« بادٍ » أى ظاهر ، و « هواك » : رفع بالابتداء و « بادٍ » خبره مقدم عليه عند سيبويه .

وعند الأخفش [٣٤٦ - ا] : « بادٍ » مبتدأ « وهواك » مرتفع به كما يرتفع الفاعل ، وقد سدّ مسدّ المبتدأ .

وقوله : « أَوْ لَمْ تَصْبِرَا » فى موضع جزْم ، وأصله : تَصْبِرَنْ بالنون الخفيفة للتأكيد ، فأبدل عنها ألفًا فى الوقف ، كقوله تعالى : (لَنَسْفَعًا)[1] وقول الأعشى :

وَلاَتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ والله فَاعْبُدَا[2]

هذا قول البصريين . وفى قول البغداديين : أنه خاطب الواحد خطاب الاثنين كقول الآخر :

فَإِنْ تَزْجُرَانِى يابن عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَدَعَانِى أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعًا[3]

والمعنى : أن هواك ظاهر علاماته ، سواء صبرت أو جزعت ، وكذلك بكاؤك ظاهر ، سواء جرى دمعك أو لم يجر .

وحكى أنه قيل للمتنبى : إنك خالفت بين المصراعين ، فوضعت فى الأول إيجابًا بعده نفى ، وفى الثانى نفيًا بعده إيجاب ، وصنْعة الشعر تقْتضى الموافقة بين صدْر البيت وعجْزه . فقال : إن كنْتُ خالفتُ بينهما لفْظًا فقد وافقت بينهما معنًى ،

---

(١) سورة العلق ٩٦ /١٥ .

(٢) هذا الشاهد من كلمة الأعشى : ميمون بن قيس التى كان مدح بها النبى ﷺ وقدم بها لينشدها بين يديه فمنعته قريش والذى ذكره الشارح عجز بيت صدره :

وذا النصب المنصوب لا تسكتنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

ديوانه القصيدة ١٧ . راجع فى إبدال النون ألفًا فى الوقف . أوضح المسالك ٣ /١٤٠ .

(٣) من قصيدة لسويد بن كراع العقيلى ، كان فى آخر أيام جرير ، وتوفى بعد المئة . انظر فى نسبة البيت طبقات فحول الشعراء ١٤٩ وفيه : « أزدجر » بدل : « أنزجر » . و « تتركانى » بدل « تدعانى » والأغانى ١١ /١٢٣ والبيان والتبين ٢ /١٢ . وسمط اللآلئ ٩٤٣ والتبيان ٢ /١٦٠ وشرح البرقوقى ٢ /٣١٧ وغير منسوب فى رسالة الملائكة ٢٥ ويعنى بابن عفان : سعيد بن عثمان بن عفان .

وذلك أن من صبر لم يجْر دمعه ، ومن لم يصبر جرى دمعه ، ومراعاة المعنى أولى من مراعاة اللفظ .

و « بُكَاكَ » عطف على « هواك » ويجوز أن يكون عطفًا على الضمير فى « صبرت » كأنه قال : صَبَرْتَ وصَبَرَ بكاؤك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجرى دمعك .

٢- كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِبًا لَمَّا رَآهُ وَفِى الْحَشَى مَالاَ يُرَى

الوجْه : لما رآهُمَا . ولكنه أقام ضمير الواحد مقام الاثنين . وقيل : أراد ، كَمْ غرّ صبرك صاحبًا لمّا رآه ، وابتسامك لمّا رآه ، فحذف أحد الضميرين لدلالة الآخر ، كما قال بعضهم :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْىَ مُخْتَلِفُ[1]

أى نحن بما عندنا راضون ، وأنت بما عندك راضٍ . ثم اكتفى بأحد الخبرين عن الآخر .

وقيل : إنه أضمر التجلّد . والضمير فى « رآهُ » إليه راجع ؛ وذلك أن الصّبر والابتسام واحد وهو التجلّد .

والمعنى : أن كثيرًا من أصحابك لما رأوا صبرك وضحكك غرهم ذلك منك ، ولم يعلموا ما فى قلبك من نار الهوى وألم العشق .

٣- أَمَرَ الْفُؤَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرَا

الهاء فى « لسانه » و « جفونه » : للفؤاد ، وقيل : للعاشق ؛ لأن فى الكلام دلالة عليه ، وفى « كَتَمْنَه » إلى « ما لا يرى » .

يقول : لسانك يكتم أمْر الهوى فلا ينطق به ، وجفونك تكتمه بترك البكاء ، فكأن قلبك أمرهما بكتم الهوى ، وهما إخْوانه وأتباعه ، ولكن نحولَ جسمك يخبر عما

(١) ق : « نحن بما عندك وأنت بما عندك » . ع : « نحن بما عندك وأنت بما عندى » . والبيت من شواهد سيبويه ١ /٣٨ والتبيان ٣ /٩٤ . ونسب لقيس بن الخطيم فى معاهد التنصيص ١ /٦٧ .

فى قلبك ، فكفى به مخبرًا .

٤- تَعِسَ الْمَهَارِى غَيْرَ مَهْرِىٍّ غَدَا بِمُصَوَّرٍ لَبِسَ الْحَرِيرَ مُصَوَّرَا

« المهارى » : جمع مَهْرِى ، وهى إبل تنسب إلى مَهَرة بن حَيْدَان[1] [أبو] حىٌّ من العرب جيد الإبل[2] . و « تعس » : أى شقى جدّه ، وقوله : « بمصوَّر » أى بإنسان مصوَّر صورة حسنة ، لَبِس حَرِيرًا مصوَّرًا بالصُّور والنقوش .

دعاء على الإبل ؛ لأنها سبب الفراق ، إلا هذا البعير الذى فوقه هذه المرأة التى هى كالصّورة فى حسنها ، وعليها ثياب حرير عليها تصاوير . و « مصورًا » : نصب على الحال .

٥- نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً فِى سِتْرِهِ لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَا

[٣٤٦ - ب] الهاء فى « فيه » للمصوّر وهو المحبوب ، وقيل : هو الحرير . والهاء فى « ستْره » يرجع إلى المصوَّر .

يقول : كان دون هذه المحبوبة ستْرٌ عليه صورة ، نافستُ هذه الصورة وحسدتها على قربها من المحبوب ، ولو كنْتُ هذه الصورة لخفيت وغبْتُ حتى يظهر المحبوب للرائين ، بخلاف هذا السّتر الذى لا يغيب .

والفائدة فى ظهوره إنما هو تنزّه الأبصار برؤيته وتكون الفائدة فيه .

وصف نفسه بالنحول وأنه بصفةٍ لا تستره عن الناظرين[3] ، أو يريد إقامة عذره للناس فى حبه إيّاه .

---

(١) ع : « حمدان » .

(٢) ذكر ياقوت أن وجه الصواب فى « مَهَرة » التحريك وقد يسكنها العامة ، بلاد تنسب إليها الإبل قلت (ياقوت) إنما مهرة قبيلة وهى مهرة بن حيدان بن عمر من قضاعة تنسب إليهم الإبل المهرية وباليمن لهم مخلاف (رستاق) وبمثل ما صوبه ياقوت فى الواحدى ١٢٣ والتبيان ٢ /٣٤١ وقد سبق ذكر البيت فى هذا الشرح والعرف الطيب ٥٦٥ وتفسير أبيات المعانى قال : مهرة بن حيدان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة .

(٣) ع : « لا تستر عن الناس الناظرين » .

٦- لاَ تَتْرَبِ الْأَيْدِى الْمُقِيمَةُ فَوْقَهُ كِسْرَى مَقَامَ الْحَاجِبَيْنِ وَقَيْصَرَا

« لا تَتْرَب » : أى لا تفتقر « المُقِيمة » الفاعلة من الإقامة التى هى المتعدّى من القيامة . و « كسْرَى » و « قيْصر »[1] نصب به ، والهاء فى « فوقه » للسّتر .

يقول : لا تَتْرب يد مَنْ نقش على هذا السّتر صورة كسرى وقيصرَ[2] ؛ حيث أقامها على باب الستر كالحاجبين .

٧- يَقِيَانِ فِي أَحَدِ الْهَوَادِجِ مُقْلَةً رَحَلَتْ وَكَانَ لَهَا فُؤَادِى مَحْجِرَا

المحْجِر : ما يبدو من النِّقاب من حوالى العين ، جعل المحبوبة عيْنَ قلبه فقال : إن كسرى وقيصر يَحْفظان فى واحد من الهوادج[3] (يعنى هودج حبيبته) مقلةً ، فلما ارتحلت المقلة زال عن قلبى ضياؤه وعمى قلبى ، فصار محْجرًا لا مقلةَ له .

٨- قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَا

لهاء فى « قبله » للبيْن ، وقيل : أراد من قبل وقوعه ، فحذف المضاف والحائن : الذى دنا[4] حينه وهلاكه .

يقول : لو نفع الحذر الحائِن لنفعنى ؛ لأنى كنت أحذر فراقهم قبل وقوعه ، فلم ينفعنى الحذر ، لمّا وقع بى ما حذرته .

٩- وَلَوِ اسْتَطَعْتُ إِذَا غَدَتْ[5] رُوَّادُهُمْ
لَمَنَعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا

الروّاد : جمع رائِد .

---

(١) كسرى : لقب ملوك الفرس . وقيصر : لقب ملوك الروم .

(٢) ق : « وقيصرا » .

(٣) ع : « فى هودج من الهوادج » .

(٤) « نأى »

(٥) ع : « اغتدت » .

يقول : لو قدرتُ - حين تخرج روّادُهم لطلب الماء والكلأ - لمنعت السحاب من المطر ، لكن لا قدرة لى على ذلك[١] .

١٠- فَإِذَا[٢] السَّحَابُ أَخُو غُرَابِ فِرَاقِهِمْ
جَعَلَ الصِّيَاحَ بِبَيْنِهِمْ أَنْ يَمْطُرَا

يقول : لو قدرتُ لمنعتُ كلَّ سحابةٍ من المطر ؛ لأنى تأمّلت الحال فرأيت السّحاب سببًا للفراق ؛ لأنه إذا مطر خرجوا لطلب المطر والكلأ ، فهو مثل غراب البيْن[٣] ؛ لأنّه إذا صاح أذِن بالفراق ! ومطر السّحاب كذلك ، فالسحاب كالغراب ومطره فى دلالته على الفراق كصياح غراب البين ، فلو قدرت لمنعته من المطر حتى لا يؤدِّى إلى الفراق .

١١- وَإِذَا الْحَمَائِلُ مَا يَخِدْنَ بِنَفْنَفٍ إِلاَّ شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَا

« الحمائل » : جمع الحمولة ، وهى الإبل التى يُحْمَلُ عليها.والنَّفْنَف : المهوى بين جبلَيْن.ويَخِدْن : يسرعْن . شبّه كثرة الكلأ على وجه الأرض بثوب أخضر ، وشقّها إيّاه : رعيها له حتى يصير كالثوب المشقوق لما رعت الوسط وتركت الحافات .

وقيل : شقها إياه : سيرها فيه .

يقول : وإذا إبلهم لا تسير فى فلاة إلا شقّت عليها ما لبست من الكلأ ، برعيها ووطئِها [٣٤٧ - ا] .

١٢- يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرَّوْضِ إِلاَّ أَنَّهُ أَسْبَى مَهَاةً لِلْقُلُوبِ وِجُؤْذُرَا

---

(١) ع : « لكن لا قدرة لى على ذلك » ساقطة .

(٢) ع : « وإذا » .

(٣) غراب البين : قال الجاحظ كل غرابٍ غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ؛ وإنما قيل له ذلك ، لأنه يسقط فى منازلهم إذا ساروا عنها ، وبانوا منها . فاشتقوا له هذا الاسم من البينونة . انظر الدميرى « غراب » .

شبّه الهوادج بالرّوْض ؛ للنقوش التى عليها ، وشبّه النساء التى فى الهوادج ببقر الوحش وأولادها[١] .

يقول : تحمل هذه الإبل فى هذا الرّوض هوادج مثل الروض وكذلك مثل الرّوض من ربّات الهوادج ، إلا أن هؤلاء النساء أسْبَى للقلوب من المها والجآذر .

و « مهاةً » و « جؤذرا » نصبا على التمييز .

١٣- فَبِلَحْظِهَا نَكِرَتْ قَنَاتِى رَاحَتِى ضُعْفًا ، وَأَنْكَرَ خَاتِمَاىَ الْخِنْصَرَا

نَكِرت الشىء فأنكرته .

يقول : بسبب لحظ النساء ضعفتْ راحتى عن حمْل قناتى ، وقلق خاتمى فى خنصرى ؛ لتحولى وضعفى .

١٤- أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ وَأَرَادَ لِى فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَا

يقول : أعطانى الزّمان حظًّا فلم أقبله منه ، وأردت أن أكون أشرف منه ، وأراد لى حالاً فأحببت أن يكون على اختيارى ، فلم أرض إلا بلقاء ابن العميد .

١٥- أَرَجَانَ أَيَّتُهَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ عَزْمِى الَّذِى يَذَرُ الْوَشِيجَ مُكَسَّرَا

أرجان : مدينة من فارس ، أصله بتشديد الراء ، ونصبه بفعل مضمر ، أى اقصدى أرجان .

يقول لخيله : اقصدى أرجان[٢] فإنّى عزمت على لقاء ابن العميد عزْمًا صحيحًا ، لو ردّنى عنه رمح لكسر الرُّمْحَ عزمى .

والوشيج[٣] : الرماح . وأصله : أصول الرماح .

١٦- لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتِ فَعَالَهُ مَا شَقَّ كَوْكَبُكِ الْعَجَاجَ الْأَكْدَرَا

(١) يريد بذلك قوله : « المها ، وجؤذرا » فالمها : البقرة الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها . والجؤذر : ولد المها .

(٢) ق : « يقول لخيله : اقصدى أرجان » ساقطة .

(٣) الوشيج : شجر يعمل منه الرماح . التبيان .

الفَعال بفتح الفاء : ما يفعله الإنسان من كرم وجود وغيرهما ، وكَوْكَب الخيل : مجتمعها ، والأكْدَر : الأسود .

يقول لخيله : لو فعلْتِ ما كنت تشتهينه[1] ما جشّمتك دخولَ الغبار الأسود وشقه ؛ لأن مرادكِ ألا تتكلّفى ذلك ، غير أنى لا أرضى إلا بما أجشمك من المشقة فى قصدى إلى ابن العميد ورؤيتى إياه .

١٧- أُمِّى أَبَا الْفَضْلِ الْمُبِرَّ الَّتِى لأَيَمَّمَنَّ أَجَلَّ بَحْرٍ جَوْهَرَا

« أُمِّى » : أى اقصدى ، و « المُبِرّ » : المصدق ، والألِيّة : اليمين . يعنى : اقصدى أبا الفضل ؛ فإنّه الذى يبرّ يمينى فيكون « المُبِرّ » خبرًا « لأمى » .

يقول : اقصدى أبا الفضل ، فإنه الذى يبر يمينى[2] حيث حلفت أنى أقصد بحرًا جوهره أجلّ من جوهر كلّ بحْرٍ ، وليس أحد بهذه الصفة غيره ، فهو الذى يبرّ يمينى .

١٨- أَفْتَى بِرُؤْيَتِهِ الأَنَامُ وَحَاشَ لِى مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقَصِّرًا أَوْ مُقْصِرَا

يقال : قصّرتَ عن الشّىء : إذا تركتَهُ عاجزًا ، وأقصرت : إذا تركته وأنتَ قادر عليه .

يقول : لمّا حلفتُ على أن ألقى أجلّ بحْرٍ جوهرًا ، أفْتانى النّاس كلّهم بأن يمينى لا تبرّ إلا برؤيته[3] ، لأنه المختص بهذه الصفة ، وحَاشَى لِى من أن أترك قصْدَه قدَرْتُ أوْ لم أقدر عليه ، فإنّ مثلى إذا حلف لايحْنث فى يمينه ، فلابدّ لى من لقائه .

١٩- صُغْتُ السِّوَارَ لأَىّ كَفٍّ بَشَّرَتْ بِابْنِ الْعَمِيدِ ، وَأَىِّ عَبْدٍ كَبَّرَا

يقول : صُغْتُ السّوار ، لأجعله فى يد من يُبَشِّرنى بابن العميد ، وكذلك

(١) الخيل تشتهى الراحة والجمام . وهو يريد أن يتعبها فى الأسفار .

(٢) ق : من « يبر يمينى . . . . يبر يمينى » ساقط انتقال نظر .

(٣) ع : « إلا برؤية ابن العميد » .

صغت لأى عبد كبَّر . يريد بذلك : ماجرى من عادة الناس إذا رأوا ما يتوقعون ، أو شيئا يعجبهم كبَّروا عند [٣٤٧ - ب] رؤيته [١] .

٢٠-إِنْ لَمْ تُغْنِنِى خَيْلُهُ وَسِلاَحُه فَمَتَى أَقُودُ إِلَى الأَعَادِى عَسْكَرَا؟!

يقول : إن لم يغْنِ ابنُ العميد بخيله وسلاحه ، لم أقدر على تجهيز الخيل إلى قتل الأعداء [٢] .

٢١-بِأَبِى وَأُمِّى ناطِقٌ فِى لَفْظِه ثَمَنٌ تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وتُشْتَرى

يقول : أبِى وأمِّى فداء لناطق يملك بحسْن لفْظِه [٣] ، قلوبَ النَّاس ، فكأنّه يجعل لفظه [٣] ثمنًا للقلوب يشتريها بهِ .

٢٢-مَنْ لاتُرِيه الْحَرْبُ خَلْقًا مُقْبِلاً فِيها ، وَلاَ خَلْقٌ يَرَاهُ مُدْبِرَا

« مَنْ » بدل من قوله : « بأبى وأمى ناطق » [٤] والهاء فى « فيها » للحرب .

يقول : بأبى من لا تريه الحرب أحدًا من النّاس مقبلا إليه ، ولا يراهُ أحدٌ مدْبرا : أى لايقدر على لقائه أحد ، ولا يولى من بين يدى أحد [٥] أيضا .

٢٣-خَنْثَى الْفُحُولِ مِنَ الْكُمَاةِ بِصَبْغِهِ مَايَلْبَسونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعَصْفَرَا

أى : جعل الفحول كالمخنثين الذين يلبسون المعصْفرات : يعنى خضب ثياب الكماة ودروعهم بدمائِهم فصاروا كالمخنثين الذين يلبسون المعصفرات . وقيل : جعلهم كالمخنّثين[٦] لجبنهم . وتقديره : بصبْغه معصفرا مايلبسون من الحديد .

---

(١) قال المعرى : يريد أى عبد من عبيد الله . وجعل العبد مستحقًّا للتسوير لأنه إذا كبر رفع يده . تفسير أبيات المعانى .

(٢) ع : « إلى الأعداء وقتالهم » .

(٣) الضمير هنا يعود إلى ابن العميد . يريد أنه يملك القلوب بفصاحته .

(٤) ق : « بأبى وأمى فداء لناطق » .

(٥) ع : « ولا يولى من بين يدى أحد » . ق : « ولا يولى من بين يديه أحد » .

(٦) يقول المعرى : أخذ المخنث والخنثى من الانخياث أى الانكسار والضعف . =

٢٤-يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعيف بِخَطِّهِ[١]
شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ ومَفْخَرًا

أراد بالقصب الضعيف : القلم ، وبالمفْخر : الفخر .

يعنى : إذا كتب بقلمه اكتسب قلمُه بخطه شرفا على الرماح ؛ لأنه يفعل بقلمه مالا يفعله الفارس برمحه .

٢٥-وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْه بَنَانُهُ تِيهُ الْمُدِلِّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخْتَرَا

الهاء فى « منه » للقصب .

يقول : يظهر فى كل قصب مسَّه بنانُه من التِّيه ما لو أمكنه المشى لتبختر فى مشيه .

٢٦-يَامَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلادَ كِتَابُهُ قَبْلَ الْجُيُوشِ ثَنَى الْجُيُوشَ تَحَيُّرَا

يعنى : إذا كتب لعدوٍّ كتابًا[٢] لم يحتج إلى إنفاذ الجيوش ؛ لأنه يهزمهم بكتابه ويصيّرهم متحيِّرين بوعْده ووَعِيده[٣] .

وهذا المعنى ذكره ابن العميد لنفسه فى قوله :

إذا ما حَلَّ أَرْضَ عُلاَىَ خَطْبٌ كَشَفْتُ الْخَطْبَ عَنْهَا بِالخَطَابَه
وَإِنْ زَحف الكتائِبُ نَحْوَ أَرْضِى قَصَمْتُ عُرَى الْكَتَائِبِ بِالْكَتَابَه

٢٧-أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذا رَكِبْتَ[٤] طَرِيقَةً وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا

= يقول : هذا الممدوح إذا لقبه الفحول من الكماة جعلها كالمخنثين أو الخناثى لأنها تضعف وتنكسر ، ولأنه يصبغ ما عليهم من الدروع وغيرها بالدم فهو كالمعصفر ، وقد جرت عادة من كان مخنثًا أن يرغب فى لباس النساء . تفسير أبيات المعانى .

(١) الواحدى والتبيان والعرف الطيب : « بكفه » وفى الواحدى وروى ابن جنى : « بخطه » .

(٢) ع : « يعنى إذا كتبت إلى عدو كتابا » .

(٣) يقول الواحدى : إن من ورد عليهم كتابه يتحيرون فى حسن لفظه ، وبدائع معانى كلامه فيستعظمونه فينصرفون ، أو أنه يسحرهم ببيانه فينصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر .

(٤) ع : « إذا ارتكبت » .

يقول : أنت فى جميع أحوالك لا نظير لك ، لاتركب إلا كل طريقة صعبة لايطيقها أحد ، ولا يتبعك فيها أحد ؛ مخافة فضيحة ، فكأنك ركبت الأسد ، ومن ركب الأسد لايمكن أحد [١] من أن يصير رديفا له .

٢٨- قَطَفَ الرِّجالُ الْقَوْل قَبْل نَبَاتِهِ[٢] وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا

يقول:كلام الناس [٣] لم يدرك بعد ، فهو كنَوْر [٤] لم يتنوَّر ، وكلامك عذب فصيح كنوْر تنوَّر وأدرك .

٢٩- فَهُوَ الْمُتَبَّعُ[٥] بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا

فهو : أى القول .

يقول : كلامك كلما سمعه سامع استعاده وتتبَّعه بسمعه ؛ لحسنه ، وكلَّما كُرِّرَ على المسامع ازداد حسنه [٣٤٨ - ا] .

٣٠- وَإِذَا سَكَتَّ فَإِنَّ أَبْلَغَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ اتخَذَ الأَصَابِعَ مِنْبَرًا

يقول : إذا سكت قام قلمك مقام خطابك ، يخطب الناس ومنبره أصابعك شبه قلمه على أنامله بخطيب على منبر .

٣١- وَرَسَائِلٌ قَطَعَ الْعُداةُ سِحَاءَهَا فَرَأَوْا قَنًا وأَسِنَّةً وَسَنَوَّرَا

« السِّحَاء » [ما يشَدّ به] القِرْطاس [٦] ، سمى بذلك لأنه يسحَّى من ظهره أو

---

(١) ق ، « لا يمكن أحدا » .

(٢) غ : « عند نباته » . الديوان والتبيان والعرف الطيب : « وقت نباته » .

(٣) ق : « الناس » مهملة .

(٤) النور : الزهر الأبيض .

يقول : أقوال الناس ناقصة الحاسن غير تامة الفائدة . فهى كالنبت إذا قطف حين يبست . وقولك متناه فى الكمال والحسن كالنبت إذا أزهر وبلغ إتاه .

(٥) الواحدى والتبيان والعرف الطيب « المشيَّع » .

(٦) فى السحح : « السحاء : القرطاس » . وفى وشو فيه بياض بعد السحاء وهى تفيد كلمة

يقشر ، والسَّنَّور : مالبس من جنس الحديد خاصة كالدروع والجواشن .

يقول : إذا فَضّ أعداؤك كُتُبَك رأوا من بلاغتك ما يملأ قلوبهم رعبًا ، فكأنَّ الكتابة كتيبة فيها الرِّماح والأسلحة ، تدفع بها الأعداء وتفلُّ بها الجيوش [١] .

وقيل : إنهم إذا رأوا فصاحتك ماتوا حسدًا لك .

٣٢- فَدَعَاكَ حُسَّدُكَ الرَّئِيسَ وأَمْسَكُوا ودَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الأَكْبَرَا

كان ابن العميد يخاطَب بالأستاذ الرئيس .

يقول : إن أعداءك خاطبوك بالرئيس ، ولم يزيدوا عليه ، والله تعالى قد سمَّاك الرئيس الأكبر .

٣٣- خَلَفَتْ صِفَاتُكَ فِي الْعُيُونِ كَلاَمَهُ كَالْخَطِّ يَمْلأُ مِسْمَعَىْ مَنْ أَبْصَرَا

الهاء فى « كلامه » تعود إلى الخالق .

يعنى : أن الله تعالى لم يدْعُك الرئيسَ الأكبر بصوت يُسْمع ، وإنما جعل فيك صفات تقوم مقام كلامه ، لأن صفاتك توجب لك هذه التسمية . فكأنها خط [٢] فيه حكاية قول الله تعالى : إنك الرئيس الأكبر . فكما أن الخط إذا نظر إليه يفهم ما يدل عليه من المعانى ، وإن لم يسمع ، فكذلك يفهم فى صفاتك هذا الاسم وإن لم يسمع .

٣٤- أَرَأَيْتَ هِمَّةَ نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدًا سَرْحًا وَخُفًّا مُجْمَرَا؟!

اليد السَّرح : السهلة القبض والبسط ، والخُفّ المجْمَر : الصُّلب

= ناقصة وما بين المعقوفتين عن العرف الطيب . ويقال : أخذت من القرطاس سحاءه وهى مايقشر عن ظاهره ليشد به الكتاب . وسحوت القرطاس : أى قشرت منه شيئا رقيقا . انظر أساس البلاغة « سحو » .

(١) مثل هذا ما يحكى عن الرشيد : أنه كتب جواب كتاب ملك الروم : « قرأت كتابك والجواب ما تراه ، لا ما تقرؤه » فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز ، كيف ملأ الأحشاء نارًا ، وترك القلوب أعشارًا .

(٢) ق . « هذه التسمية كخط » .

يقول : هل رأيت همة ناقتى فيما بين النوق ، كيف علت سائر الهمم ، حيث قصدتك ، بنقل يد سُرحٍ وخفٍّ مجْمَر ، وترك الملوك وراءها .

٣٥- تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا

« الرِّمث » نبت [يوقد به] [١] وإذا أكلته الإبل اشتكت بطونها .

يقول : تركتْ ناقتى أهل البادية الذين يوقدون الرِّمث ، وقصدتْ مِلكًا يوقد العنبر ، فهمتها بخلاف همة سائر النوق . ومثله للبحترى :

نَزَلُوا بِأَرْضِ الزَّعْفَرَانِ وَجَانَبُوا أَرضًا تُرَبُّ الشِّيحَ[٢] والقَيْصُومَا [٣]

٣٦- وَتَكَرَّمَتْ رُكُبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكًا أَذْفَرَا

إنما جمع الركبة مع أن للناقة ركبتين مجازًا ، لأنه أراد الركبتين [٤] وما بينهما أو يكون قد سمى لكلّ جزء منه ركبة ، ثم قال : « تقعان » فرجع إلى التثنية الحقيقية وترك المجاز ، و « الأذفر » : الذكى الرائحة .

يقول : إن ناقتى ترفّعت وأنِفَتْ عن أن تقع ركبتاها على مبرك فيه التراب ، وإنما أرادت أن تقع ركبتاها على المسك الأذفر [٥] ، فلهذا قصدتْكَ

٣٧- فَأَتَتْكَ دَامِيَةَ الأَظَلِّ كَأَنَّمَا حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا الْعَقِيقَ الْأَحْمَرَا

[٣٤٨ - ب] « الأظَلّ » : باطن الخف الذى يلى الأرض ، و « حُذيتْ » أى جعل لها حذاءً وهو النعل .

يقول : جاءتْك ناقتى والحجارة قد أدمت [٦] أخفافها ، فكأنها حذيت

---

(١) ما بين المعقوفتين عن الواحدى والتبيان .

(٢) فى النسخ : « تدل الشيح » .

(٣) ديوانه ٣/١٩١١ والوساطة ٢٧١ وفيها : « وغادروا » والواحدى ٧٣٩ والتبيان ٢/١٦٩ .

(٤) ع : من « وكبتين . . . . الركبتين » ساقط .

(٥) يريد أن المسك لا قيمة له عند الممدوح فهو ملقى على الأرض حتى تبرك ناقته عليه .

(٦) ق : « قد أدمت » بياض .

بالعقيق الأحمر . شبه الدم الأحمر بالعقيق [١] .

٣٨- بَدَرَتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا وَجَدَتْهُ مَشْغُولَ الْيَدَيْنِ مُفَكِّرَا

يقول : إن ناقتى سبقت إليك قبل أن يعلم الزمان فيعوقها عنك ، فكأنها رأت الزمان مشغولا عنها فانتهزت الفرصة .

٣٩- مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرَابِ أَنِّى بَعْدَهَا لاَقَيْتُ [٢] رَسْطَالِيسَ وَالإِسْكَنْدَرَا

يقول : من مبلغ الأعراب الذين فارقتهم ، أنى رأيت ملكا كأنه أرسطاليس [٣] فى حكمته وعلمه ، والاسكندر فى مُلْكه . كأنه يعرض بسيف الدولة .

٤٠- وَمَلَلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِى مَنْ يَنْحَرُ الْبِدَرَ النِّضَارَ لِمَنْ قَرَى

« العشار » : النوق الحوامل التى أتى على حملها عشرة أشهر ، و « النضار » : الذهب الخالص ، وهو بدل من البِدرَ ويجوز أن يكون صفة لها .

يقول : من يبلغ الأعراب أنّى مللْتُ ذبح نوقها لى ضيافةً ، فخرجت من عندها وقصدت من ينحر لى بِدَرَ الذّهب :

أى يملّكنى إياها ويصلنى برغائب الأموال وأنواع الصلات .

٤١- وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرَا

نصب دَارِسَ : على الحال من بطليموس [٤] ومتملكا على الحال من الممدوح . والهاء فى « كتبه » للممدوح .

يقول : سمعت أن بطليموس مع كمال فضله ،دارس لكتب ابن العميد

(١) ع : « شبه الدم بالعقيق الأحمر » .

(٢) الواحدى « شاهدت » وكذا الديوان والتبيان . وفى العرف الطيب : « جالست » .

(٣) أرسطاليس : هو المشهور بأرسطو الحكيم تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر . انظر فى ذلك تلخيص تاريخ الحكماء للزورنى ٢٨ - ٣٠ . والعرب تتصرف فى الأسماء الأعجمية .

(٤) بطليموس : هو بطليموس القلوذى صاحب كتاب المجسطى وغيره . انظر تلخيص تاريخ الحكماء للزورنى ٩٥ .

ومستفيد منها ، وهو قد جمع المُلْكَ وفصاحة البدو وظَرْف الحضَر .

وقيل الهاء فى « كتبه » لبطليموس . يعنى : سمعته يدرس كتب بطليموس مع ما له من المُلْكِ والفصاحة والظَّرف .

٤٢-وَلَقِيتُ كُلَّ الفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ الْإِلٰهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا

يقول : إنّ فضل الفضلاء كلهم موجود فيه ، فكأنه جمع جميع الفضلاء ، وكأنّ[1] الله تعالى رَدّ أعْصُر الفاضلين ونفوسهم ، فكأنهم حضُورٌ لم يموتوا . وهذا كقول أبى نواس[2] :

وَلَيْسَ عَلَى اللهِ بِمستَنْكَرٍ أنْ يجْمَعَ العَالَمَ فِى وَاحِدِ[3]

٤٣-نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا وَأَتَى (فَذٰلِكَ) إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا

يقول : مضى هؤلاء الفضلاء واحدًا بعد واحدٍ ، كالحساب الذى يذكر تفاصيله ، ثم يقال فى آخره : فذلك الجميع . أى لما جئت فى آخرهم كنت كأنك جملة التفْصيل الذى سلف لهم ، لأنك جمعت فضائل الكل ومناقبهم .

٤٤-يَالَيْتَ باكِيَةً شَجَانِى دَمْعُهَا نَظَرَتْ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعْذِرَا

« شجانى » : أحزننى ، و« دمعها » فاعل شجانى « فَتَعْذِرا » نصب لأنه جواب التمنِّى بالفاء .

يقول : ليت التى بكت عند مفارقتى إياها ، حتى أحزننى دمعُها ، نظرتْ إليك

---

(١) ق ، شو : « أو كأن » .

(٢) هو : الحسن بن هانئ نشأ بالبصرة ثم تحول إلى الكوفة ثم صار إلى بغداد وبرع فى الشعر حتى بر أهل عصره وأحد وصاف الخمر وكان ماجنًا خليعًا . توفى سنة ١٩٨ هـ ترجمته فى معاهد التنصيص ١ /٨٣ وخزانة الأدب ١ /١٦٨ وابن خلكان ١ /٢٤٠ .

(٣) ديوانه ٧٥ وفيه : « وليس لله بمستنكر » والإبانة ٥٢ وفيه : « وليس لله » . التبيين ١ /١٧٣ ، ٣٣٦ والوساطة ٢٥٤ وأخبار أبى تمام للصولى ١٤٨ ، خاص الخاص ١١١ وتأهيل الغريب ٢٥٤ و ٣٢٠ وعيون الأخبار ١ /٢٢٧ وحلبة الكميت ٢٧ .

كما نظرتُ لتعذرنى فى مفارقتها وقصدى إليك واختيارى أكون عندك [١] .

٤٥-وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لاَتَرُدُّ فَضِيلةً الشَّمْسَ تَشْرُقُ والسَّحَابَ كَنَهْوَرَا

الكنهور[٢] : القطعة العظيمة من السَّحاب ، وفاعل « تَردّ » ضمير الفضيلة ونصب « فضيلة » لأنها مفعول بها ، ونصب « الشَّمْس » بدل من الفضيلة ، وكذلك « السحاب » وقيل : إن « الشمس » نصب « بتشرق » .

يقول : ترى [٣] فيك الفضائل المتضادة مجتمعة ! لايردّ بعضها بعضًا ، فكأنها رأت الشمس والسحاب العظيم فى وقت واحد ، ومن عادة السحاب أن يستر الشمس ، والشمس تُذْهب السحاب ، وأنت قد اجتمع فيك نور الشمس ، ومطر السحاب بجودك ! ولا يردّ أحدهما الآخر ، وفاعل « ترى » ضمير الباكية .

٤٦-أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلاً وَأَسَرُّ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتْجَرَا

أى : لما قصدتك طاب منزلى ، وسُرَّت راحلتى وربحت صفقتى وفضَلْتُ جميع الناس فى هذه الأحوال . والمنصوبات هى على التمييز .

٤٧-زُحَلٌ[٤] عَلَى أَنَّ الْكواكِبَ قَوْمُهُ لَوْكَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعْشَرَا

الْقَوْم : لا يقع إلا على المذكَّرين من العقلاء ، لكنْ لما كانت الكواكب محيطة بزحل ، وهو واحد منها ، جعلها قومه .

يقول : إن زحل - مع أن الكواكب قومه - لو كان من جملتك ومنتسبًا إليك ، لكان أكرم معشرًا من كونه[٥] من من جملة الكواكب .

---

(١) ق . شو : « الكون عندى » .

(٢) قال المعرى : الكنهور : السحاب المتكاثف وإنما أخذ من الكهر وهو غلظ الوجه . تفسير أبيات المعانى .

(٣) أى الباكية وهى العين .

(٤) زحل : يسمى شيخ النجوم . الواحدى .

(٥) ق . شو : لكونه » .

(٢٧٩)

وقالَ يمدحه ويهنئه بالنّيروز[١] وينعتُ سيفًا قلّده إيّاه[٢] [وخيلاً حملَه عليها ويذكر انتقادَهُ شعَره] :

١ – جاء نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ وَوَرَتْ بِالذِي أَرَادَ زِنَادُهْ

يقال : نيْروز ، ونوْرُوز . و« وَرَتْ » أى أضاءت .

يقول : إنما جاء النَّوروز ليسرّ بُرُؤْيتك فورت زناده : أى أدرك مراده .

٢ – هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَالَهَا مِنْـ ـكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَوْلِ زَادُهْ

يقول : هذه النظرة التى نالها منك الآن ، تكفيه للمسرة إلى عام قابل مثله [٣] والهاء فى « زاده » للنيروز .

٣ – يَثْنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ نَاظِرٌ أَنْتَ طَرْفُهُ وَرُقَادُهْ

« آخرَ اليوم » : نصب على الظرف . والناظر : ناظر العين ، وهو سواده الذى

---

(١) النيروز : كلمة فارسية معربة ، ومعناها اليوم الجديد ، وهو أول يوم فى السنة وهو عيد عند الفرس . انظر صبح الأعشى ٢ /٤١٧ – ٧٢٥ وكتاب النيروز لأحمد بن فارس . نوادر المخطوطات ٥ /١٨ .

(٢) الواحدى عقّب القصيدة السابقة « الرائية » رقم (٢٧٨) بمقطوعة تضم أربعة أبيات فى وصف محمرة هى ص ٧٤٠ منه :

أحب امرئ حبث الأنفس وأطيب ما شمه معطس

ثم أتى بالقصيدة التى معنا : « جاء نيروز . . . زناده » ووضع الديوان هذه المقطوعة : « أحب امرئ » عقب قصيدة « التوديع الدالية » رقم (٢٨٠) ورتبها شارحنا قبل قصيدة التوديع .

الواحدى ٧٤١ : « وقال يمدحه ويهنئه بالنروز » . التبيان ٢ /٤٧ : « وقال يمدح أبا الفضل محمد ابن الحسين بن العميد ؛ فيهنئه بالنيروز » . الديوان ٥٤٢ : « وقال أيضا فيه يوم النيروز » . العرف الطيب ٥٧١ : « وقال يمدحه ويهنئه بالنيروز ويصف سيفا قلده إياه وفرسا حمله عليه وجائزة وصله بها وكان قد عاب القصيدة الرائية عليه » .

(٣) ق ، « للميسرة . . . مثلها » .

به يكون النظر. والهاء فى « منه » و « طرفه » و « رقاده » للنيروز. وروى : « ينقضى » بدل « ينثنى » .

يقول : ينصرف عنك النيروز وقد خلّف عندك لحظَه ورقاده ، فبقى بلا لحظ ولا نوم ، إلى أن يعود إليك .

شبه النيروز بمحب يُسرُّ بقرب حبيبة ويسهر لفراقه ، فهو يشتاق إليه إلى أن يعود إليه .

٤ – نَحْنُ فِى أَرْضِ فَارِسٍ فِى سُرُورٍ ذَا الصَّبَاحُ الَّذِى يُرَى مِيلاَدُهْ

ذَا الصَّباح : إشارة إلى صباح النيروز المذكور . والهاء فى « ميلاده » للسرور .

يقول : نحن فى سرور فى هذا الصباح ، الذى هو ميلاده السرور .

٥ – عَظَّمَتْهُ مَمَالِكُ الْفُرْسِ حَتَّى كُلَّ أَيَّامِ عَامِهِ حُسَّادُهْ

الهاء فى « عظَّمَتْهُ » وفى « عامه » [و] « حساده » [1] للنيروز أو الصباح المذكور ، وهما واحد ، وأراد بالممالك : أهل ممالك الفرس ، فحذف .

يعنى : أن [٣٤٩ – ب] ملوك الفرس عظموه ، حتى صارت سائر أيام السنة تحسده لذلك التعظيم .

٦ – مَالَبِسْنَا فِيهِ الْأَكَالِيلَ حَتَّى لَبِسَتْهَا تِلاَعُهُ وَوِهَادُهْ

الأكاليل : جمع [2] الإكليل وهو مثل التاج . والتلاع : جمع تَلْعة ، وهى الأرض المرتفعة . والوهاد : جمع وَهدة ، وهى ما انهبط من الأرض . « والهاءات » للنيروز إلا فى قوله : « لبستها » فإنه للإكليل .

يقول : لم تعقد على رءوسنا أكاليل الأنوار [3] إلا بعد أن عمت الأنوار التلاعَ

(١) ق ، « حساده » بياض .

(٢) ق ، « الأكاليل : جمع » مهملة .

(٣) كان من عادة الفرس إذا جلسوا فى مجالس اللهو والشرب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والأزهار فيجعلونها على رءوسهم . الواحدى .

والوهادَ وصارت عليها كالأكاليل[١] ، وهو مثل قول أبي تمام :

حَتَّى تَعَمَّمَ صُلْعَ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نَوْرِهِ[٢] وتأَزَّرَ الأَهْضَامُ[٣]

والعمائم : أى الأكاليل ، إلا أن بيت أبي تمام أجود ، لأنه جعل ما كان على الرُّبا كالعمائم لارتفاعها ، وما كان فى الأهضام وهى المطمئِن من الأرض كالأُزر .

والمتنبى جعل الأكاليل على التلاع والوهاد .

إلا أنه يمكن أن يقال : إن معناه : لبستها تلاعه واتزرت بمثلها وهاده والتحفت ، لأن لفظ اللّبس مشتمل على العمائم والمآزر ، فاكتفى بأحدهما كما قال :

يَالَيتَ زَوجَكِ قَدْ غَدَا متقلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا[٤]

٧ – عِنْدَ مَنْ لايُقَاسُ كِسْرَى أَبُوسَا سَانَ مُلْكًا بِهِ وَلاَ أَوْلاَدُهْ

يعنى : نحن فى أرض فارس ، أوصرنا فى هذا اليوم عند مَلِكٍ أجلّ من كسْرى[٥] أبي ساسان وأولاده و « مُلْكا » نصب على التمييز ويجوز أن يكون تعلق البيت بالذى قبله[٦] .

يقول : مالبسنا فيه الأكاليل عند مَلِكٍ هذه حاله ، حتى لبستها تلاعه ووهاده .

٨ – عَرَبِيٌّ لِسَانُهُ فَلْسَفِيٌّ رَأْيُهُ فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهْ

يعنى : أنه فصيح اللسان فكأنه عربيّ ، ورأيه رأى الفلاسفه فى الحكمة ،

---

(١) ق ، شو : « أن عم التلاع الأنوار وعم الوهاد وصارت عليها الأكاليل » .

(٢) فى الواحدى والتبيان : « من نبته وتأزر الأهضام » .

(٣) ديوانه ٣ / ١٥١ الواحدى ٧٤٢ والتبيان ٢ ٤٨ .

(٤) هذا البيت من أبيات شواهد العربية غير منسوب ويروى : « ياليت بعلك قد غدا » والشاهد فيه : أنه أراد متقلدًا سيفًا وحاملاً رمحًا ، ويحتمل أنه أراد مستعملاً سيفًا ورمحًا ، لأن التقلد لا يكون إلا للسيف ، انظر فى ذلك ابن هشام فى أوضح المسالك ٢ / ٥٨ .

(٥) كسرى : يجوز فيه فتح الكاف وكسرها . وهو لقب لكل ملك من ملوك الفرس ويقال ملوك الفرس بنو ساسان .

(٦) ع : « بالذى قبله » ساقطة .

وأعياده أعياد العجم .

٩ - كُلَّمَا قَالَ نَائِلٌ : أَنَا مِنْهُ سَرَفٌ ، قَالَ آخَرُ : ذَا اقْتِصَادُهْ

يعنى : كلّما أعطى عطاءً تستعظمه الناس ! ويقولون : هذا سرف [١] أتى بعده بعطاء آخر أعظم منه ، حتى يرى الناس أن الأول كان اقتصادا ، وهذه عادته أبدًا ، فليس لعطائه حدّ . فنسب القول إلى النائل مبالغة .

١٠-كَيْفَ يَرْتَدُّ مَنْكِبِى عَنْ سَمَاءٍ وَالنِّجَادُ الَّذِى عَلَيْهِ نِجَادُهْ ؟!

النجاد : حمائل السيف .

يقول : كيف لايبلغ منكبى السماء ، وعليه نجاد ابن العميد ؟! أى كيف لا أبلغ السماء عزًّا وشرفًا ، وقد تقلدت بسيفه .

وقيل : أراد أن ابن العميد بلغ السماء طولا ، فكيف لا أبلغ السماء وقد لبست نجاده ؟ وقوله : « كَيْفَ يَرْتَدّ » أى كيف يقصر منكبى عن بلوغ السماء ؟ والهاء فى « عليه » للمنكب وفى « نجاده » للممدوح .

١١-قَلَّدتْنِى يَمِينُهُ بِحُسَامٍ أَعْقَبَتْ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهْ

الهاء فى « منه » للسيف وكذلك فى « أجداده » .

يقول : قلدّنى سيفًا لانظير له فى السيوف [٣٥٠ - ١] وقوله : « أَعْقَبَتْ مِنْه » معناه أن السيف ينسب إلى الهند ، كما ينسب الرجل إلى أجداده ، فكأنّ الهند أجداد هذا السيف ، فلم يعقب رجال الهند منه إلا واحدًا : أى لم يطبع له نظير .

وقيل : إن الهاء « منه » للممدوح وهو المراد بالحسام وشبهه به لمضائه فكأنه .

يقول : أعقبت أجداده منه واحدًا لا ثانى له [٢] .

١٢-كُلَّمَا اسْتَلَّ ضَاحِكَتْهُ إِيَاةٌ تَزْعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرْآدُهْ

(١) ق ، « شُرف » .

(٢) ق ، « أعقبت منه أجداده واحدًا لاثنى له » .

الإياة : ضوء الشمس . والأرآد : جمع الرِّئْد ، وهو التّرب . والهاء فى « أنها » للشمس وفى « أرآده » للسيف .

والمعنى : كلما استلَّ السيف قابلته الشمس بآياتها وزعمت أنها تشبه لونه فى صفائه وبريقه .

شبه إياة الشمس ، بالسيف [1] وبريقه .

وقيل : الهاء فى « أنها » للإياة ، وفى أرآده للشمس ، وذكَّره لأن تأنيثها ليس بحقيقى ولا علامة فيه اضطرارا للقافية .

أى : تزعم [2] الشَّمْس : أن إياة الشمس وضوءها مثل ضوئه فى المنظر .

١٣- مُثِّلُوهُ فى جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْـ ـدِ فَفِى مِثْلِ أَثْرِهِ إِغْمَادُهْ

أثَرُ السيف » وأثْره : جوهره ، وكان على جفن هذا السيف فضة منقوشة بالسَّواد .

يعنى : أن الصّاغة مثّلوا هذا السيف فى جفنه : أى جعلوا مثالا فى غمده له ، لئلا يغيب عن عيْنهم لحسنه ، فهو مغمد فى جفنٍ يشبه رونْقه وجوهره ؛ لأن الفضة التى عليه إذا جليت وصقلت أشبهت رونق السيف ، فكأنه مجرد وهو مغمد ، وصاحبه ينظر إليه ولا يفقد حسنه ولارونقه [3] .

١٤- مُنْعَلٌ لاَمِنَ الْحَفَا ذَهَبًا يحـ ـمِلُ بَحْرًا فِرِنْدُهُ إِزْبَادُهْ

نعْلُ السَّيف : الحديدة التى فى أسْفل غمده . والفِرِنْد : جوهر السيف وخضرته .

(١) فى « استل هذا السيف . . . وزعمت الشمس أنها . . . . والسيف وبريقه » .

(٢) قال المعرى : الزعم : ما لا حقيقة له وأكثر ما يستعمل الزعم فيما لا يثبت كما قال الله تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) . أى ليس الأمر كذلك . تفسير أبيات المعانى .

(٣) قال المعرى : المعنى : أنه أراد أن أصحاب هذا السيف كانوا معجبين به يؤثرون ألا يغيب عنهم فى حال ، فمثلوه فى غمده من الفضة بشبه أثره ، ليكونوا - وهو مغمد - كأنهم ينظرون إليه وهو مسلول ، لأنهم يختارون أن لا يغيب عنهم . تفسير أبيات المعانى .

يقول : غِمْد هذا السيف مُنْعل ذَهبًا ، ولم ينعل لأجل الحفاء ، وهذا النعل يحمل سيفًا كالبحر فى كثرة مائه ، ولمَّا جعله بحرًا جعل جوهره عليه بمنزلة الزَّبَد فوق البحر .

يقول : هو بحر ولكن زَبَده فرنده .

١٥- يَقْسِمُ الْفَارِسُ الْمُدَجَّجُ لاَيسْـ ـلَمُ مِنْ شَفْرَتَيْهِ إلاَّ بِدَادُهْ[1]

البداد : بداد السرج [2] وهو الذى عليه من الجانبين ، وقيل : هو الفخذان .

والمدجج : تام السلاح .

يقول : إذا ضرب فارسًا قطعه نصفين مع فرسه ، فلا يسلم منه إلا البداد ؛ لانحرافه عن وسط السرج ، وقوله : « مِنْ شَفْرَتَيه » يريد بأىّ شفرتيه ضَرَب .

١٦- جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَائِى فاسْتَجْمَعَتْ آحَادُه

[آحاده] : أى غرائب الدهر التى لا نظير لها ، والهاء فى « حدّه » للسيف وفى « يديْه » للممدوح وفى « آحاده » للدهر .

يقول : جمع الدهر بين حدّ هذا السيف فى نفاذه ، ويدَىْ ابن العميد فى سخائه وثنائى فى فصاحته . وكل واحد غريب . ومعناه : لا نظير له ، فاجتمعت آحاد الدهر وغرائبه [3] .

١٧- وَتَقَلَّدْتُ شَامَةً فِي نَدَاهُ جِلْدُهَا مُنْفِسَاتُهُ وَعَتَادُه

الهاء فى « نَدَاه » و « منفِسَاته » و « عتادُه » للممدوح . والمنفسات : كل شىء شريف نفيس .

يعنى : [٣٥٠ - ب] أن هذا السيف فى جملة ما أعطانيه من منفساته وذخائره ، مثل الشامة فى الجسد . لمّا جعل السّيف شامة جعل المنفسات جلْدًا لها ؛

(١) ع : « إلا بلاده » .

(٢) ع : « البلاد بلاد السرح » . ق : « البداد بداد المسرح » تحريفات .

(٣) ع : « ونوائبه » بدل : « وغرائبه » .

لأن الشامة لاتكون إلا على الجلْد .

وقيل : عنى بالجلد ، غمد السيف وحليته . جعل السيف كالشامة لوضوحه فى جملة ما أعطاه ، وأراد أن السيف قيمته دون قيمة جفنه ، لما عليه من الحلية ، فهو وإن كان نفيسًا فحليته أنفس منه !

والهاء فى « منفساته » « وعتاده » عائِدة إلى الندى . وقيل إن الهاء عائده إلى الشامة ، وذكَّره لما أراد به السيف .

وقيل : أراد بالجلد ، مايلى هذا السيف من عطاياه المتقدمة والمتأخرة . جعلها كالجلد حول الشامة .

وقيل : أراد بالجلد ظاهره الذى عليه الفرند لأن أنفس ما فى السيف فرنده .

١٨- فَرَّسَتْنَا سَوَابِقٌ كُنَّ فِيهِ فَارَقَتْ لِبْدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهْ

فرَّسَتْنَا : أى جعلتنافوارس والهاء فى « فيه » للندى وفى « فيها » للسوابق و « كُنْ » فعل السوابق .

يعنى : علمتنا الفروسية خيل سوابق كنَّ فى نَداه [1] وقوله : « فَارَقَتْ لِبْدَه » أى انتقلت من سرج ابن العميد ، وصارت تحت سرجى .

يعنى : هى وإن خرجت من مُلكه وفارقت سرُوجه ، فإنها لم تفارق من تعب طراده ؛ لأنى أقاتل عليها بين يديه ، وأسير عليها معه حيث سار . وقوله : « فيها طِرَادُه » : أى عليها طراده ، والهاء فى « لِبْده » و « طراده » لابن العميد .

وقيل : معناه أنها وإن كانت غير سائِرة فذكرها سائِر فى الأرض ، وقيل : أراد أن هذه الخيل تغيظ الحساد وتغير على الزمان ، فكأنها فى طِرادٍ ، وإن كانت مستريحة .

١٩- وَرَجَتْ رَاحَةً بِنَا لَاتَرَاهَا وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهْ [2]

---

(١) ع : « فى مداه » .

(٢) ع : « ورجت بنا راحة لا نراها وبلاد أسير فيها بلاده » .

يقول : إن الخيل لما انتقلت إلىَّ ، رَجَتْ أن تستريح من إتعابه إيَّاها ، وليست ترى ذلك مادمت أنا أسير فى بلاده ، لأنىَّ مادمت عنده فأنا متصرف بحكمه [١] فكأنها لم تخرج عن ملكه .

وقيل : أراد أنَّا لانزال نَعدو معه فى غزواته ، ونطارد عليها معه [٢] ، إذا ركب إلى الصيد ، فلا تستريح مادمنا فى خدمته ، فهى إذًا لا تستريح أبدًا لأنَّا لانفارق خدمته أبدًا .

٢٠- هَلْ لِعُذْرِى إِلَى الْإِمَامِ [٣] أَبِى الْفَضْـ
ـلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِى مِدَادُهْ

الهاء فى « مداده » للقبول . والجملة صفة له .

يقول : هل يقبل عذرى فى قصورى عن خدمته ، ولو قبل عذرى لكتبت قبوله بِسوَادِ عينى وجعلته مدادًا لكتبته ، لعظم موقعه لدىّ .

وقيل : الهاء راجعة إلى الممدوح ، يريد على وجه الدعاء كأن سواد عينى مدادًا يكتب به هو [٤]

٢١- أنا مِنْ شِدةِ الْحيَاءِ عَلِيلٌ مَكْرُمَاتُ الْمُعِلِّهِ عُوَّادُهْ

الهاء فى « المعله » و « عواده » للعليل .

يقول : أنا عليل من فرط حيائى . حيث قصرت فى خدمته

---

(١) ع : « تصرفت على حكمه » .

(٢) ع : « أراد أنها لاتزال تغدو معه فى غزواته ونطارد عليها معه » .

(٣) الواحدى والتبيان والديوان : « إلى الهاء » . العرف الطيب : « عند الهام » .

(٤) يرى صاحب العرف الطيب أن المتنبى يشير هنا إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ويعتذر مما فرط له فيها من مواضع النظر . وقوله : « سواد عينى مداده » من باب الدعاء أى جعل الله سواد عينى مدادًا له . وإنما قال ذلك إشارة إلى أن ابن العميد من أهل الأدب المشتغلين بالكتابة والتصنيف . وتنبيهًا على الانتقال من مخاطبته بالرئاسة إلى مخاطبته بالعلم .

وقد أخجلنى بانتقاده شعرى[١] وقد أعلنى [٣٥١ - ا] وجعل مكارمه عوَّادى .

وقيل : المعنى اعتللت من شدة الحياء ، والذى أعلنى هو ابن العميد ، لأنه أكثر من مكرماته ومواهبه ، حتى أدى ذلك إلى الفرح الغالب علىَّ ، وأدى ذلك إلى الحياء فى تقصيرى ، ولولاه لما كنت ذَا حياءٍ ، غير أنه جعل مكرماته متجددة عندى فجعلها بمنزلة عُوَّادِى .

٢٢-مَاكَفَانِى تَقْصِيرُ مَا قُلتُ فِيه عَنْ عُلاَهُ حَتَّى ثَنَاهُ انْتِقَادُهْ

« ثَنَاهُ » : أى جعله ثانيًا . وروى « ثنانى » : أى صرفنى .

يقول : كنتُ قد خجلت من تقصيرى فى خدمته ، فزادنى خجلا حين انتقد علىَّ شِعرى ، فلم يكفنى قصورى عن وصفه وتقصيرى فى خدمته ، حتى انضم إليه انتقاده .

٢٣-إِنَّنِى أَصْيَدُ الْبُزَاةَ وَلَكِنْـ ـنَ أَجَلَّ النُّجُومِ لاَ أَصْطَادُ

يعنى : أنا أبلَغ الشعراء وأقدرهم على الوصف ، ولكن معالى ابن العميد أعجزتنى عن إدراكها ، فلست أصِل إلى وصْفها ، كالبازى لا يمكنه أن يصيد أجلَّ النجوم وهو الشمس[٢] .

٢٤-رُبَّ مَا لاَ يُعَبِّرُ اللَّفْظُ عَنْهُ وَالَّذِى يُضْمِرُ الْفُؤَادُ اعْتِقَادُهْ

يقول : رب معنى له قد استقر فى قلبى ، غير أن عبارتى تقصر عنه ولا تلحقه ، وأنا أصفه بقلبى ، وإن قصر اللفظ عنه .

٢٥-مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِى الْفَضْـ ـلِ وَهَذَا الَّذِى أَتَاهُ اعْتِيَادُهْ

يقول : لم أمدح مثل أبى الفضل ، إذْ لم أشاهد له مثالاً ؛ فلذلك قصرت عن

(١) يقول الواحدى : إنما استحيا لأن ابن العميد عارضه فى بيت من شعره أو ناظره فى شىء منه وهذا جعله معللا له . وقد شرح أبو الطيب هذه القصة فيما بعد هذا البيت .

(٢) هو : زحل . عند الواحدى وصاحب التبيان .

كنه وصفه ، وهذا الّذى أتى به من الكرم والجود هو عادةٌ طُبع عليها ، لا تكلّف فيها .

وقيل : معناه ما رأيت مثْله ومثْل انتقاده ، وهو قدْ رأى مثْلى ، وما أتاه من انتقاد شعرى عادته ، وقد فعل قبل ذلك كثيرًا .

وهذا يدل على تحرّزه من ابن العميد والإقرار له بالفضل[1] .

٢٦-إِنَّ فِى الْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ لَعُذْرًا وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهْ

يعنى : قد غرقت فى بحر جودك فاعذرنى إن عجزت عن إحصائِه ؛ فإنّ الغريق معذور إذْ لم يقدر على عدّ أمواج البحر .

وقيل : إن فضائله غرَّقت فكْرى[2] ، فلم أقدر على وصفها حقّ الوصف ، فكأنها موج وكأننى غريق فيه ، لا يمكننى تعداده .

٢٧-لِلنَّدَى الْغَلْبُ أَنَّهُ فَاضَ وَالشِّعْـ ـرُ عِمَادِى وَابْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهْ

الهاء فى « عِمَادُه » للندى .

يقول : الغَلْب للندى حيث فاض علىّ وغشينى بكثرته ، لأنّ عمادَه ابنُ العميد ، وعمادى الشعر ، فمادّة الندى أغزر من مادة الشعر .

٢٨-نَالَ[3] ظَنِّى الْأُمُورَ إِلاَّ كَرِيمًا لَيْسَ لِى نُطْقُهُ وَلاَ فِىَّ آدُهْ

الآد والأيد : القوة ، والظنّ هاهنا : العلم .

يقول : قد أحاط علمى بجميع الأمور ، غير ابْن العميد ، فإنّ علمى لا يحيط بوصفه ، ولا فىّ قوّةٌ لاستنباط معانيه ، ولا تقوم عبارتى بمدحه .

وقيل : أراد لم يجر فى وَهْمِى أنى أرى إنسانًا لَيْس لِى مثْل بلاغته وقوته .

---

(١) ويقول الواحدى : وهذا يدل على تحرّز أبى الطيب وتواضعه . ولم يتواضع لأحد فى شعره ماتواضع له .

(٢) ق ، « ذكرى » .

(٣) غ : « وقال » تحريف .

يعنى : لم يكن فى ظنى أنّ فى الدنيا أحدًا أقصى منّى ، حتى رأيت ابن العميد .
والهاء فى « نطْقه » و « آده » للكريم [٣٥١ - ب] .

٢٩- ظَالِمَ الْجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ سِيمَ أَنْ يَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادُهْ

« ظَالِمَ » : نصب لأنه نعت لقوله : « إلاّ كَرِيمًا » .
يعنى : أن جوده يظلم قصّاده ؛ لأنه يكلّفهم أن يحملوا البحار (وهى جوده) فى مزاودهم وهذا ظلم ، لأن أحدًا لا يقدر عليه .

٣- غَمَرَتْنِى فَوَائِدٌ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أَفَادُهْ

يقول : أفادنى فوائد ، حتى جعل فيها كلامه :
أى تعلمت منه حُسْن القول ، فصار ذلك من جملة ما غمرنى من فوائده[1] .

٣١- مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ الْعَطَايَا فَاشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهْ

يعنى : أن كلامه نتيجة عقله ومادة قلبه ، فإذا أفاده إنسانًا فكأنه أفاده قلبَه ، وما سمعنا بأحدٍ يهب قلبَه فى مواهبه .

٣٢- خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طُرًّا فِى مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُهْ

يقول : خلق الله تعالى ابنَ العميد أفصحَ[2] النّاس ، فى بلاد ليس فيها إلاّ الأكراد ، والأعراب فيها غير الأكراد[3] . وهذا أبين لفضله لأنه مقرون بضدّه .

٣٣- وَأَحَقَّ الْغُيُوثِ نَفْسًا بِحَمْدٍ فِى زَمَانٍ كُلُّ النُّفُوسِ جَرَادُهْ

« أَحَقَّ » نصب لأنه مفعول « خلق الله » يعنى : خلق الله تعالى منه غيثًا فى زمانٍ كلُّ النّاس فيه جراده . والهاء « للزمان » .

(١) يشير إلى ما انتقده عليه فى شعره وأنه أرشده بذلك إلى صواب القول .
(٢) ع : « ابن العميد أفصح » ساقط .
(٣) ق : « ليس فيها إلا الأكراد أعراب والأعراب فيها غير الأكراد » . ويريد : أفصح الناس فى مكان . بدل الأعراب فيه الأكراد ويعنى بذلك أهل فارس أى أنه أفصح الناس وأنه بين قوم غير فصحاء .

يعنى : هو بمنزلة الغيث ، والنّاس كالجراد يفسدون الزّرع ويخرّبون البلاد ، فهو أولى بالحمد من كلّ أحد ؛ لأنه ينفع وغيره يضر . وهذا كقول أبى عيينة[1] يهجو يزيد بن خالد ويمدح أباه :

أَبُوكَ لَنَا غَيْثٌ نَعِيشُ بِسَيْبِهِ[2] وَأَنْتَ جَرَادٌ لَسْتَ تُبْقِى وَلاَ تَذَرُ[3]

٣٤- مِثْلَمَا أَحْدَثَ النُّبُوَّةَ فِى الْعَا لَمِ وَالْبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهْ

الهاء فى « فساده » للعالم .

يقول : أوجدك الله تعالى فى هذا الزّمان بعد ماشاع فيه البخل والفساد ، كما بعث الله تعالى الأنبياء حين شاع فى العالم الكفر والفساد ، وهذا كقول الفرزدق :

جُعِلْتَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ عَدْلاً وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لِآثَارِ الْقُرُوحِ[4] الْكَوَالِمِ

كَمَا بَعَثَ اللهُ النَّبِىَّ مُحَمَّدًا عَلَى فَتْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ الْبَهَائِمِ[5]

٣٥- زَانَتِ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا لِعِ فِيهِ ، وَلَمْ يَشِنْهَا سَوَادُهْ

الهاء فى « سواده » لِلَّيل . يعنى : أنك زنت زمانك بمحاسنك ، ولم يضرّك لؤم أهله وفسادهم ، كما أن البدر يزين الليل بضيائه ، ولا يضرُّه سواد الليل .

٣٦- كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نُهْدِى كَمَا أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهْ

---

(١) ع : « أبو العيناء » تحريف . وإن كان أبو العيناء هذا شاعرًا ظريفًا توفى بالبصرة سنة ٢٨٣ نكت الهميان ٢٦٥ وتاريخ بغداد ٣ /١٧٠ . وأبو عيينة المذكور أحد شعراء الدولة العباسية واسمه أبو عيينة وكنيته أبو المنهال . وهو أبو عيينة بن محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة شاعر ظريف غزل هجاء أكثر هجائه فى ابن عمه خالد المذكور فى الشرح وابنه يزيد . مختار الأغانى ١ /٤٣٤ - ٤٤٠ .

(٢) فى مختار الاغانى « بويله . . . ليس » .

(٣) مختار الأغانى ١ /٤٤٠ .

(٤) ع : « الندوب » ق « العذوب » .

(٥) ديوانه ٨٥٢ وروايته :

جعلت لأهل الأرض أمنًا ورحمة وبرءا لآثار القروح الكوالم

والنقائض ٢ /٥٤ والوساطة ٢٦٤ وفيها : « لآثار الجروح » .

يقول : كثر فكرى فيما أهديه إلى ابن العميد فى يوم النّيروز ، كما تهدى إليه عبيده .

لما جعله ربًّا جعل الناس عبيدًا له ، تفخيمًا وتعظيمًا .

٣٧-وَالَّذِى عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْـ ـلِ فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهْ

يعنى : فكرت فلم أجد شيئًا أهديه إليه ؛ لأن [٣٥٢ - ا] جميع ما عندى من المال فمن مواهبه ، وجميع خيلى مما قاده إلىّ ، فلم أدْرِ ما أهدى إليه .

٣٨-فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهَارًا كُلُّ مُهْرٍ مَيْدَانُهُ إِنْشَادُهْ

يقول : فلمّا لم أجد ما أبعثه إليه ، بعثتُ بأربعين بيتًا ، كأنّها أربعون مُهرًا[1] ، وميدان كلّ بيت منها إنْشاده ، لأنه إذا أنشد عرف قدره ، كما أنّ المُهْر إذا جرى عرف عتْقه[2] .

وقوله : « بأرْبعين مِهارًا » ليس بجيّد ؛ لأن المفسَّر[3] بعد مثْل هذه العقود يكون بلفظ الواحد .

٣٩-عَدَدٌ عِشْتَهُ يَرَى الْجِسْمُ فِيهِ أَرَبًا لَا يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهْ

يعنى : إنما جعلت هذه القصيدة أربعين بيتًا ، لأن الأربعين عدد سِنى الشّباب ، فإذا تجاوزها الإنسان تناقصت قواه ، فالجسم يرى فى الأربعين من استكمال القوة ما لا يراه فيما يزاد عليه .

يعنى : لم أزد على الأربعين لتكون القصيدة بعيدة عن النّقص ، حاصلة فى غاية الكمال[4] .

٤٠-فَارْتَبِطْهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرْبِطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهْ

(١) كنى بالمهار عن أبيات القصيدة لأنها أربعين بيتًا .

(٢) أى عرف قدره ونجابته وكرمه . اللسان والواحدى . (٣) ق : « لأن المهر » .

(٤) يقول الواحدى : الأربعون : « عدد عشته » دعاء له بأن يعيش هذا العدد من السنين على ما عاشه وكان ابن العميد قد جاوز السبعين وناهز الثمانين فى هذا الوقت والمعنى : زاد الله فى عمرك هذا العدد .

« نَمَاها » : أى نشّأها وصنعها .

يقول : ارتبط هذه المهار ، فإنها قِيدَت إليك ، وقلبى الذى أنشأها وأحكمها مَرْبطٌ تَسبق خيله سائِر الخيل .

لما جعل الأبيات مهارًا ، جعل قلبه مربطًا لها[١] ، لأنها صدرت عنه . واحتفظ بشعرى فإنه يفوق[٢] كل شعر .

(٢٨٠)

وأُنفِذَت القَصيدتانِ[٣] من أرّجان إلى أبى الفتح[٤] ابن الأستاذ الرئيس بالرىّ[٥] ، فعاد الجَوابُ يذْكُر سرورَه بأبى الطيّب والشَّوق إليه ، وأبياتًا نظمها فى وصف ما سمع من قِبَله ، وطعَن فيها على بعْض المتعرِّضين لقول الشعر ، وأظْهَر فسادَ قولهم[٦] فقال أبو الطيِّب ارتجالاً والكتاب فى يده[٧] لموصِّله[٨] :

---

(١) ع : « مربطها » .

(٢) فى ع . ق : « يقول » بدل : « يفوق » تحريف .

(٣) فى مقدمة الديوان : « وأنفدت القصيدة الرائية والدالية » .

(٤) هو : على بن محمد بن الحسين . وزير من الكتاب الشعراء الأذكياء يلقب بذى الكفايتين (السيف والقلم) وهو ابن أبى الفضل بن العميد . خلف أباه فى وزارة ركن الدولة سنة ٣٦٠ . وأخباره قصيرة على قصر مدته فقد قتله مؤيد الدولة سنة ٣٦٦ . معجم الأدباء ٥ /٣٤٧ ٣٧٥ ونكت الهميان ٢١٥ ويتيمة الدهر ٣ /٢٥ .

(٥) الرىّ : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن قصبة بلاد الجبال جنوبى طهران فتحها العرب فى زمن عمر على يد عروة بن زيد وفيها ولد هارون الرشيد . ياقوت .

(٦) مقدمة الديوان : « بورود أبى الطيب . . . . فساد قوله » .

(٧) مقدمة الديوان : « فقال أبو الطيب والكتاب بيده لموصله ارتجالا . ع : « فقال أبو الطيب والكتاب فى يده » .

(٨) الواحدى ٧٥٠ : « وورد على أبى الطيب كتاب أبى الفتح بن العميد يذكر سروره وشوقه إليه فقال ارتجالا » . التبيان ٢ /٥٨ : « وورد عليه كتاب أبى الفتح بن أبى الفضل بن العميد يتشوقه فقال » . الديوان ٥٤٦ قريب من المذكور . وقد أشرنا إلى الفروق . العرف الطيب ٥٧٦ .

١- بِكُتْبِ الْأَنَامِ كِتَابٌ وَرَدْ فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلَّ يَدْ

يقول : ورد كتاب يقوم مقام الكُتب كلّها ، ثم قال : جعل الله يد كلّ كاتب[١] فداءً ليده .

وقيل : معنى المصراع الأول : مثل معنى المصراع الثانى . فقوله : « بكُتْبِ الأنام » كقوله : « بنفسى » أى جعل الله[٢] جميع كتب الأنام فداء لكتابه ، وأيديهم فداءً ليده .

٢- يُعَبِّرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا[٣] وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدْ[٤]

يقول : هذا الكتاب يعبّر عمّا عندنا من المحبّة ، ويذكر منَ الشّوق مثْل ما أجده فى قلبى إليه .

٣- فَأَخْرَقَ رَائِيَهُ مَارَأَى وَأَبْرَقَ نَاقِدَهُ مَا انْتَقَدْ

« أخرق » و « أبرق » : أى حيَّر .

يقول : لما فضّ هذا الكتاب حيّر من رأى خطّه ، وأدْهش من انتقد لفظه . وفاعل « أخرق » « وأبرق » « ما » .

٤- إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَاظَهُ خَلَقْنَ لَهُ فِى الْقُلُوبِ الْحَسَدْ

يقول : إن الناس إذا سمعوا ألفاظه أحدثتْ ألفاظُه الحَسَد فى قلب من حَسَده ، فكلّ من قرأه حسده على فصاحته .

٥- فَقُلْتُ وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِينَ : كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدْ

[٣٥٢ - ب] « فَرَسَ النَّاطِقين » : أى غلبهم وقهرهم ، كما يقهر الأسد

---

(١) ق ، شو : « ثم جعل يد كل كاتب » . بدل العبارة المذكورة .

(٢) ع : « كقولهم بنفسى جعل الله » .

(٣) ق : التبيان « يخبر عن حاله عندنا .

(٤) ق : « ما يجد » .

فريسته ، أى لمّا رأيته وقد حيّر[١] كل ناطق ، قلت : هكذا يكون مَنْ وَرِثَ البلاغة من آبائه وأجداده .

(٢٨١)

وأحضرت مجلسَ الأستاذ أبى الفضل مجمرةً قد حُشِيَتْ بنرْجسٍ وآسٍ ، حتى خَفِيت نارها ، فكان الدّخان يخرج من خلال ذلك ، فأنشأ يقول[٢] :

١- أَحَبُّ امْرِئٍ حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ ما شَمَّهُ مَعْطِسُ

الْمعطِسُ : الأنف . وتقدير البيت : هذا أبو الفضل أحب امْرِئٍ أحبته الأنفس وهذا البخور أطيب شىء شمّه المعطس[٣] .

٢- وَنَشْرٌ مِنَ النَّدِّ لكِنَّمَا مَجَامِرُهُ الْآسُ وَالنَّرْجِسُ[٤]

أى : وأطيب ما شمه معطس : نَشْرٌ من النّد ولكنّه فى مِجْمَرَةٍ من بخور[٥] .

---

(١) ع : « جبن » تحريف .

(٢) ذكر الواحدى هذه المقطوعة عقب القصيدة الرائية رقم (٢٧٨) وقبل الدالية رقم (٢٧٩) وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه . وقد ذكر الديوان هذه المقطوعة بعد قصيدة التوديع : رقم (٢٨٢) .

نسيت وما أنسى عتابا على الصد ولا خفرا زادت به حمرة الخد

وقد أشرنا إلى كل فى مكانه وانظر هامش مقدمة القصيدة رقم (٢٧٩) من هذا الشرح وانظر الواحدى ٧٤٠ : « وأحضر مجلس ابن العميد مجمرة محشوة آساً ونرجساً ، أخفيت نارها ، والدخان يخرج من خلال ذلك فقال أبو الطيب » . التبيان ٣ /٢٠٥ : « وأحضره أبو الفضل بن العميد مجمرة محشوة بالنرجس والآس . والدخان يخرج من خلال ذلك فقال مرتجلا » . الديوان ٥٥١ : « وقال فى مجلسه وقد قدمت إليه مجمرة من آس ونرجس . وقد أخص فيها النار والندّ بديهة » . العرف الطيب ٥٧٧ .

(٣) ق ، « أحب أمر أحبته الأنفس وهو البخور أطيب ماشمه معطس » .

(٤) الند : ضرب من الطيب وليس بعربى ، والآس والنرجس : نبتان طيبا الرائحة . والمجمرة : ما يوضع فيه البخور .

(٥) يريد بقوله : « فى مجمرة من بخور » أى من خشب الآس والنرجس وليسا بمعروفين أن يخرج منهما الدخان ولذلك عبر عنها بمجامر وهى مجمرة واحدة . انظر التبيان .

جعلها لذلك مجامر[١] ، وهى مِجْمرة واحدة .

٣- وَلَسْنَا نَرَى لَهَبًا هَاجَهُ فَهَلْ هَاجَهُ عِزُّكَ الْأَقْعَسُ ؟!

« الأقعس » : الثابت الممتنع وهاء « هاجه » للندّ[٢] .

يقول : لسنا نرى نارًا تحرقه وتهيج رائحته ، فلعل عزك هاجه ، حتى انتشر ريحه .

٤- وَإِنَّ الْقِيَامَ الَّتِى حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلُهَا[٣] الْأُرُّوسُ

القيام[٤] : جمع قائم .

يقول : إن الغلمان والخدم القيام تشتهى رءوسها أن تباشر الأرض فى الوقوف بين يديك تشرُّفًا بخدمتك ، فتحسد الأرجلَ لذلك .

وقيل : أراد أن الرّءوس تحسد الأرْجل ؛ لأنها تمنت أن تسْعى فى خدمتك كما تسعى الأرجل[٥] .

(٢٨٢)

وقال أيضًا يمدحه ويودِّعه فيها[٦] ، لمّا أرادَ الخروجَ[٧] إلى عضُدِ الدّوْلة فى شهر ربيعٍ الأوّل سنة أربعٍ وخمسين وثلاث مئة[٨] :

(١) ق : « جعلها كذلك مجاورة » تحريف .

(٢) ع : « عز أقعس : أى ثابت ممتنع . والهاء فى « هاجه » لنشر الند » .

(٣) ع : « أقدامها » .

(٤) فى التبيان « القئام » بدل « القيام » والقئام : الجماعات وقال : وصحفه بعضهم فقال بالقاف . ولا يصح بالقاف . ولهذا قال الشاعر : « التى » . لتأنيث الجماعة . ولا يجوز بالقاف إلا أن قال : « الذين حوله » وكان ممن يقرأ عليه الديوان « لعلّ صاحب التبيان يريد بذلك ابن جنى » .

(٥) ق ، « الأرض » .

(٦) ع : « ويودعه فيها » مهملة .

(٧) فى النسخ : « الرجوع » .

(٨) فى ق . « سنة ٣٥٤ » الواحدى ٥٧٠ : « وقال أيضا يودع ابن العميد عند مسيره إلى -

١- نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلاَ خَفَرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ

الخفر : الحياء ، والصَّدّ : يجوز أن يكون من المتنبىّ ، ويجوز أن يكون منها ، وهو الأوْلى ؛ ولهذا زادت حمرةُ وجهِهَا عند عتابه إيّاها .

يقول : نسيت كلّ شىء مرّ علىّ ولم أنس عتابى لحبيبتى على صدّها ، أو عتابها إيّاى على صدّى عنها ، وكذلك لا أنسى حمرة وجْهها التى زادت من الحياء .

وروى : « نُسِيتُ » على ما لم يسم فاعله . أى : نسى عهدى ولم أنس أنا عهدهم .

٢- وَلاَ لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقَصُورَةٍ
أَطَالَتْ يَدِى فِى جِيدِهَا صُحْبَةَ الْعِقْدِ

امرأة قصيرة وقصورة : ممنوعة من التصرّف ؛ صيانةً لها[1] .

يقول : ولم أنس ليلةً جعلْتُها قصيرةً بامرأة مقصورة : أى صارت ليلتى تلك قصيرة لطيبها ، فعانقتها وأطالت يدى صحبة عقدها[2] فى عنقها[3] .

٣- وَمَنْ لِى بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوِدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ

[أى] لما فيه من البعد ، فصرت الآن أتمناه ، لأحظى فيه بالنّظر والتسليم ، وقوله : « ومن لى بيوم » أى من يرد علىّ مثل ذلك اليوم[4] .

= بلد فارس سنة ٣٥٤ » . التبيان ٢ /٥٩ : « وقال يمدح أبا الفضل ويودعه » . الديوان ٥٤٧ : « وقال عند خروجه ويودعه فيها » . العرف الطيب ٥٧٨ .

(١) وذلك من القَصْر بفتح القاف لا من القِصَرْ كعِنَب ومنه : (حور مقصورات فى الخيام) أى محبوسات .

(٢) ع : « فناقضتها وأطالت صحبة عقدها » .

(٣) يذكر صاحب التبيان أن المعانقة طالت مثل طول صحبة العقد فى جيدها .

(٤) ق ، سقط شرح هذا البيت ، والمذكور عن سائر النسخ .

٤- وَأَلاَّ يَخُصَّ الْفَقْدُ شَيْئًا لأَنَّنِى[١]
فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِى وَلاَ وَجْدِى

أى : ومن لى بألاّ يخصَّ الفقدُ شيئًا دون شىء ، وإنما تمنيت ذلك ، لأنى فقدت محبوبى ، ولم أفقد دموعى عليه ، ووجدى لفراقه ، فهلاّ إذْ فقدته فقدت دموعى ووجدى عليه[٢] .

٥- تَمَنٌّ يَلَذُّ الْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِهِ وَإِنْ كَانَ لاَ يُغْنِى فَتِيلاً وَلاَ يُجْدِى

الفتيل : الخيْط الذى يكون فى شقّ النّواة .

يقول : قوْلى هذا تمنٌّ يتلذّذ المستهام به ، وإن كان لا يغنى شيئًا . وجمع بين « يُجْدِى » و « يغنى » لاختلاف اللّفْظين .

٦ - وَغَيْظٌ عَلَى الأَيَّامِ كَالنَّارِ فِى الْحِشَا
وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الأَسِيرِ عَلَى الْقِدِّ

أى : وما أقوله غيظٌ منّى على الأيام ، وهذا الغيْظ تأثيره فىّ كتأثير النّار فى الحِشَا . ولكن [غيظ][٣] لا يغنى عن الأيام شيئًا فيغيظنى عليها ، مثل غيْظ الأسير على القِدّ[٤] .

وهذا مأخوذ من قول علىّ رضى الله عنه[٥] : « غضب الخيل على اللُّجُم » .

٧- فَإِمَّا[٦] تَرَيْنِى لاَ أُقِيمُ بِبَلْدَةٍ
فَآفَةُ غِمْدِى فِى دُلُوقِى مِنْ حَدِّى[٧]

---

(١) ع : « فإنى » .

(٢) ع : « معه » .

(٣) ع : « ولكن لا ينفعنى » . ق: « ولكن لا يغنى » . والمراد : ولكنه غيظ على من لا يبالى بغيظى لأنه كغيظ الأسير على القد .

(٤) القِدّ : سير من الجلد يشد به الأسير . (٦) ق : « فما » .

(٥) ع : « كرم الله وجهه » . (٧) ع : « فآفة سيفى من دلوقى من حدى » .

الدُّلُوق : مصدر دَلَقَ السّيف مِنَ الغمد[١] : إذا انسلّ من غير أن يسلّه أحد ، وسيف دَلُوق ودَالق : سريع الانسلال .

يقول : إن كنت لا أقيم ببلدة فليس ذلك لأن البلد غير طيّب ، ولكن آفة ذلك من نفسى ؛ لأن بُعْد همّتى لا تَرضى بلَدًا ولا تدَعنى أستقرّ فى مكان ، فأنا كالسّيف الذى يأكل غمدَه فيتّسع عليه ، فيقلق فيه ، كما أن السّيف سبب قلقه فى جفنه ، مضاء حدّه ، كذلك أنا سبب انزعاجى من كلّ بلْدة بعْدُ همّتى وشرف مَطْلبى .

٨- يَحِلُّ الْقَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بِعَقْوَتِى فَأَحْرِمُهُ عِرْضِى وَأُطْعِمُهُ جِلْدِى

يقال : نزل بعَقْوته : إذا نزل بفنائه قريبًا [منه] وعِرْض الرّجل : موضع المدح والذم . وقيل : أراد هاهنا شرف آبائه .

يقول : إذا أحدق بى الطّعْن يومَ القتال لا أفرّ منه ، مخافة أن يعاب حسبى ولكنّى[٢] أصبر وأمكّن الرّماح من جلْدى حماية لعرضى وحسبى .

٩- تُبَدِّلُ أَيَّامِى وَعَيْشِى وَمَنْزِلِى نَجَائِبُ لاَ يُفَكِّرْنَ فِى النَّحْسِ وَالسَّعْدِ

فاعل تُبَدِّلُ : نَجائِب .

يقول : إن الإبل النجائِب تُبدِّل هذه الثلاثة منّى ، فأكون فى راحةٍ وإقامةٍ ، ويومًا على خلافها ، وتارةً أكون فى عيشٍ هنىء ، وتارة فى جهْد ، ويومًا فى منْزلى ، ويومًا فى آخر .

يعنى : أنى لا أستقر فى مكانٍ فإذا هممْتُ بأمْرٍ ركبتُ نجائِب ، ولم أفكّر فى طالع نحس أو سعد ، ولا يردّنى عن مرادى[٣] نحوسةٌ ولا نحس ولا أبالى بهِ .

(١) ق : « فى الغمد » .

(٢) ق : « أن يصاب جسمى ولكن » .

(٣) ع : « مرامى » .

١٠–وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءٌ تَلَثَّمُوا عَلَيْهِنَّ لاَ خَوْفًا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ

وَأوجهُ : عطف على نجائب : أى تبدّل إيّاى نجائب وأوْجُهُ غلمانٍ ، قد تلثّموا عليها حياءً لصَباحتها وطلاقتها ، والضمير فى « عليْهِنَّ » للأوجه . وقيل : حياءً ممن به يتعرضون له بالسّبْى والغارة ، ولم يتلثّموا عليها خوفًا من الحرّ والبرْد .

يعنى : أنا أبدًا[1] أسير على هذه النجائب [٣٥٣ – ب] مع هؤلاء الغلمان .

١١–وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذِّئْبِ شِيمَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

أسدٌ وردٌ : إذا كان لوْنُه يضرب إلى الحمرة ، ولما وصف غلمانه بالحياء بيّن أنّ ذلك من وصْفِ الأسد ، فكما أن الحياء لا يمنعه من إقدامه ، فكذلك حياء هؤلاء . إذِ الوقاحة من صفة الذئبِ ، لخسته ، والحياء عادة الأَسَد[2] .

١٢–إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ أَجَازَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ

أجازه : أى أفْضى به[3] إلى الاجتياز .

يقول : إذا لم تُمكّن هؤلاء الغلمان المودّةُ من الاجتياز بديار قوم ، أمكنهم منه القنا : أى إذَا عبروا بديار قوم ليس بينهم مودّة ومسالمة ، عبروا بها قهرًا وغلبةً ، « والخوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدّ »[4] : أى : إن حصولك على مرامك[5] قهرًا أشرف من وصولك إليه مسالمةً ووُدًّا ، وهذا مثْل قولهم : « رَهْبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَغْبُوتٍ »[6] .

١٣–يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِي تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى الْجِدِّ

---

(١) ق : « إذ أبدا » . ع : « أنى أبدا » .

(٢) ق : « الأسدة » . وقال الواحدى : وذلك أن فى طبع الأسد كرما وحياء فيقال إن من واجهه وأحدّ النظر فى وجهه استحيا منه الأسد ولم يفترسه .

(٣) ق : « أى قضى به » . (٤) ع : « والخوف جبن من الظلمان » .

(٥) ع : « وصولك إلى مرامك » .

(٦) فى أمثال الميدانى ١٥٢٧ : ١ /٢٨٨ وفرائد اللآلئ ١ /٢٤٠ . والتبيان ٢ /٦٢ والواحدى ٧٥٣ بهذه الرواية : « رهبوت خير من رحموت » . أى لأن تُرْهب خير من أن تُرْحم .

يعنى : هؤلاء الفتيان يحيدون عن الملوك الذين هم أصحاب الهزل[١] ، ويقصدون الذى توفر : أى كثر فيه الجدّ ، فرفضوا الهازل وأقبلوا على الجادّ[٢] [يعنى ابن العميد][٣] .

١٤-وَمَنْ يَصْحَبِ اسْمَ ابْنِ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
يَسِرْ بَيْنَ أَنْيَابِ الْأَسَاوِدِ وَالْأُسْدِ

يقول : من سار بذكر اسم ابن العميد ، أمْكنه أن يمرّ بين أنياب الحيَّات ، ومخالب الأسود . ولا تتعرض له ، هيبةً لابن العميد . وجرّ « محمدٍ » بدلاً من « ابن العميد » ويجوز نصبه على أن يكون بدلاً من « اسْمَ » .

١٥-يَمُرُّ مِنَ السُّمِّ الْوَحِيِّ بِعَاجِزٍ وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ عَلَى دُرْدِ

الْوَحِيّ : السريع . والدُّرْد : جمع الأدْرد ، وهو الذى تساقطت أسنانه .

يقول : من صحب اسمه يتخلّص من السّمّ الوحيّ ، الذى يكون من الحيَّات : أى أن الأساود يعْجز سمّها عنْه ، فلم تضرّه ، وأمسكت عنه أفواهَها الأسودُ ، فلم تعمل فيه ، فكأنها ساقطة الأسنان .

١٦-كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعِيسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ
فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءً سِوَى الرَّعْدِ

يقول بقد صارت الدنيا كلّها ربيعًا ببركاته فَكَفَانَا[٤] هذا الربيع أمْر العيس ، فى طلب العلف[٥] والكلأ لها ، فما سرْنا من الأرض إلا صادفنا فيه الماء والمرعى ، فجاءته هذه العيس من غير حُدَاء حادٍ سوى الرعد[٦] .

---

(١) يعنى : الذى يشتغل باللهو من الطرب وشرب الخمر .
(٢) فى النسخ : « ويقصدون الذى هو الجد كله فرفضوا الهزل وأقبلوا على الجد » .
(٣) ما بين المعقوفتين عن الواحدى والعرف الطيب ٥٧٩ .
(٤) ق : « فكأنا » تحريف وكفاه الأمر : أغناه عن كلفته .
(٥) ع : « والعلو » تحريف . (٦) ع : « من غير آحاد سوى الرعد » .

١٧-إِذَا مَا اسْتَحَيْنَ[١] الْمَاءَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ
كَرَعْنَ بِسِبْتٍ فِي إِنَاءٍ مِنَ الْوَرْدِ

استَحَيْنَ الماء[٢] : عداه بنفسه يقال : استَحَيْتُه واستحيْتُ منه . السِّبْت : جلود تدبغ بالقَرَظ فتلين[٣] - شبّه بها مشافِر الإبل لرقّتها . وكرَعْنَ : أى شربن .

يقول : إنا كنا نسير بين رياضٍ زاهرةٍ ، ومياه جاريةٍ ، فإذا عرض الماءُ نفسَه على الإبل استحيت من كثرة عروضه ، وكرعت[٤] فيه بمشافِر كأنها السِّبت ، فى إناءٍ كأنّه من الوَرْد ، لكثرة الأزهار حوله[٥] .

١٨-كَأَنَّا أَرَادَتْ شُكْرَنَا الْأَرْضُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُخْلِنَا جَوٌّ هَبَطْنَاهُ مِنْ رِفْدِ

الجوّ : المتّسع من الأرض .

يقول : كأن الأرض أرادت منّا أن نشكرها عند الممدوح ، فكل موْضع نزلْناه منها كان فيه رِفدها [٣٥٤ - ١] .

١٩-لَنَا مَذْهَبُ الْعُبَّادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ وَإِتْيَانِهِ نَبْغِي الرَّغَائِبَ بِالزُّهْدِ

يقول : تركنا غيره من الملوك وأتَيْنَاه ، نَبْغى أضْعاف رفْد غيره ، كما أن الزهّاد

(١) الواحدى « إذا ما استجبن » وكذلك العرف الطيب .

(٢) روى العروضى وجماعة :

إذا ما استجبن الماء يعرض نفسه كرعن الشيْب فى إناء من الورد

وقال : إذا ما استجبن « بالجيم » : من الإجابة . والاستجابة أشبه بالعرض وأوفق وشيب : حكاية صوت الشرب . الواحدى .

(٣) ويبقى عليها الشعر .

(٤) قال المعرى أصل الكروع فى الماشية التى تدخل فى الماء حتى تغيب فيه أكرعها . ثم كثر ذلك حتى قيل كرع الشارب فى القدح . تفسير أبيات المعانى .

(٥) ع : « حواليه » ويقول المعرى : وقوله : « فى إناء من الورد » يريد أن الماء قد اجتمع فى موضع منخفض وقد نبت الزهر حوله . وكل زهر يسمى ورد على الاستعارة . فكأنّ ذلك الموضع إناء من الورد . لأن الماء قد غطى ما ليس فيه ورد منه فقد صار كالماء فى القدح وما حوله من الزهر كفضلة الإناء التى ليس فيها ماء . تفسير أبيات المعانى .

تركوا متاعَ الدّنيا ليصلوا إلى نعيم الأبد .

٢٠- رَجَوْنَا الَّذِى يَرْجُونَهُ فِى كُلِّ جَنَّةٍ بِأَرْجَانَ حَتَّى مَا يَئِسْنَا مِنَ الْخُلْدِ

يقول : رجونا أن ننال بأرّجان جميع ما يرجوه الزهّاد فى الجنّة من النعيم ، حتى رجونا الخلود ولم نَيْئَس منه .

٢١- تَعَرَّضُ لِلزُّوَّارِ أَعْنَاقُ خَيْلِهِ تَعَرُّضَ وَحْشٍ خَائِفَاتٍ مِنَ الطَّرْدِ

الطَّرد : مصدر طردتُ الصّيد ، إذَا طلبته .

يعنى : أن خيله تنظر إلى زوّاره نظرًا شزرًا خوفًا من أن يهبها لهم[1] ، فكأنّها وحْش خافت من الطّرْد ، فتمد أعناقها إلى الصائِد . وقوله : « تَعَرَّضَ للزُّوَّارِ » : أى توليهم عُرْضها : أى جانبها .

٢٢- وَتَلْقَى نَوَاصِيهَا الْمَنَايَا مُشِيحَةً وُرُودَ قَطًا صُمٌّ تَشَايَحْنَ فِى وِرْدِ

« مُشِيحَةً » : أى مجدّة ، وتشايَحْن : أى أسرعن وجدَدْن فى الطّيران .

وقيل : مُشِيحةً : أى مزْدحمة ، وتشايحن : أى ازدحمن . والوِرْد : الماء بعينه والورود[2] [إتيان الماء] .

يقول : إن خيله تكره الانتقال عنه إلى زوّاره ، وتسرع إلى الموت بين يديه ، كما تسرع القطا إلى ورود الماء .

جعلها « صُمًّا » لتكون أسْرع فى طيرانها واقتحامها على[3] الماء ؛ لأنها لا تسمع شيئًا يردّها عنه . أى تختار لقاء الموت بين يديه على انتقالها من عنده[4] إلى زوّاره .

٢٣- وَتَنْسُبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نُفُوسَهَا إِلَيْهِ ، وَيَنْسُبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الْهِنْدِ

(١) فى النسخ : « منهم » .

(٢) ع : « أى يزدحمن والورد الماء بعينه الورود » وفى اللسان : الورد : الماء الذى يورد . ق : « أى ازدحمن والورد الورود » .

(٣) ق : « إلى » .

(٤) ع : « من عنده » مهملة .

الهاء فى « نفوسَهَا » للأفعال . يعنى : أن السيوف إنما تعمل فى يده ، فأفعالها تُنسب إليه فيقال : هذه ضربة عَمِيدِيَّةٌ ، كما يقال : سيوفٌ هندية .

٢٤- إِذَا الشُّرَفَاءُ الْبِيضُ مَتُّوا بِقَتْوِهِ أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الْأَبِ وَالْجَدّ

« الشرفاء » : جمع شريف ، والبيض : الكرام السادة . مَتُّوا : أى توصّلوا . بقَتْوه : أى خدمته .

يقول : إذا انْتَمى الكرام السّادة إلى خدمته ، كان ذلك لهم أشرف من انتمائهم إلى الآباء والأجداد الشرفاء . فقولهم : فلان خادم ابن العميد ، خير له من النّسب الشريف !

٢٥- فَتًى فَاتَتِ الْعَدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ فَمَا أَرْمَدَتْ أَجْفَانُهُ كَثْرَةُ الرُّمْدِ

العدْوَى : أن يقرَّبَ البَعيرُ الجَرِب إلى الصحيح فيصير جَرِبًا مثله .

يقول : كثرتْ العيوبُ فى النّاس وعمّهم اللؤم ! لكنه قد سار عن لؤمهم ولم تتعدّ[1] إليه أخلاقهم ، فكأنّ عيْنه أبت أن تقبل عدوى عيوب الناس إليها . وضرب الرَّمَد مثلاً لما ذَكَر العَيْن .

٢٦- وَخَالَفَهُمْ خَلْقًا وَخُلْقًا وَمَوْضِعًا
فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَىءٍ وَأَنْ يُعْدِى

يعنى : خالف النّاس فى خَلْقه وخُلُقه ومَوْضعِهِ من الشّرف ، فلا يلحقه فسادُهم ولا يُعْدى إليه منهم شىء .

٢٧- يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِى عَلَى الْعِدَى بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةِ الْجُنْدِ

[٣٥٤ - ب] يُغَيِّرُ : أى يجعل سواد اللّيل بياضًا ، ويغيّرها عليهم حتى يجعلها كالنّهار ، بجيوش قد نشروا راياتهم ونصرت جنودهم .

---

(١) فى : « تتعد » . غ : « يتعد » .

وتغييرهم اللّيالى : هو أن يقلب سوادها ببريق سيوفهم [إلى] ضوء النهار [أو بالنيران][1] التى ألقاها فى ديار عدوّهم .

٢٨- إِذَا ارْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ كَتَائِبَ لاَ يَرْدِى الصَّبَاحُ كَمَا تَرْدِى

الرَّدَيَان : ضرب من السّير السريع[2] .

يعنى : أن الأعداء إذا نظروا الصّبح ، رأوْا كتائبه تسبق الصبح ، فهى تَرْدِى[3] فى السّير أسرع ما يَرْدِى الصّباح .

٢٩- وَمَبْثُوثَةً لاَ تُتَّقَى بِطَلِيعَةٍ وَلاَ يُحْتَمَى مِنْهَا بِغَوْرٍ وَلاَ نَجْدِ

يعنى : ورأوا خيلاً مبْثوثة لا يُقْدر أن يُعْتصم منها بطليعة من الطلائع ، ولا فى مكان عال ولا منخفض .

٣٠- يَغِضْنَ[4] إِذَا عُدْنَ فِى مُتَفَاقِدٍ مِنَ الْكُثْرِغَانٍ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشْدِ

يَغِضْنَ : أى يَخْتَفِينَ ويغْلُلْن[5] . فى متفاقد : أى يفقد بعضهم بعضًا لكثرتهم .

يعنى : أن خيلك إذا عُدْن[6] من حيث توجّهْن ، غاضت فى جيشك كما يغيض النّهر فى البحر .

وروى : « يَغُرْن » أى يدخلن فيه . ومنه قولهم : غارت عينُه : أى دخلت فى

---

(١) ما بين المعقوفتين عن التبيان .

(٢) ق : « سريع » .

(٣) ق : « ترى » تحريف .

(٤) الواحدى : روى ابن جنى : « يغضْن » أى يدخلن من غاض الماء فى الأرض إذا ذهب ونقص . وروى غيره « يَغُضْنَ » وبهذه الرواية فى الواحدى والتبيان والعرف الطيب وذلك من الغوص وهو الدخول فى الشىء .

(٥) علَّ فى الشىء علاًّ : دخل فيه . القاموس المحيط .

(٦) غ : « إذ أعدن » .

الرأس ، ثم بين أنه مستَغْن بكثرة عبيده الذين هم مِلْكه ، عن الجند والحشد .

٣١- حَثَت كُلُّ أَرْضٍ تُرْبَةً فِي غُبَارِهِ فَهُنَّ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِي البُرْدِ

يقول : هو كثير الغزوات ، يغزو سائِر الأَرَضِين ، فلكلّ أرض تربةٌ فى غباره مختلفة الألوان ، فإذا مرّ عسكره بأرض سوداء أو حمراء أو غبراء علاه لون كل تربة من الأرضين ، فهو عليه كالطَّرائِق المخطَّطَة على البُرُد .

٣٢- فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُه
فَهَذَا ، وَإِلاَّ فَالْهُدَى ذَا ، فَمَا الْمَهْدِي ؟!

يقول : إن كان المهدى الذى يُنْتظر[1] ، من بَانَ هديه وانتشر عدله ، فهذا هو ذلك المهدى ؛ لظهور طريقته وعدله ، وإن لم يكن كذلك ، فسيرة هذا الممدوح هى الهدى[2] فما معنى قولنا المهدّى [بعد هذا] ! .

٣٣- يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ وَيَخْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ

الهاء فى « يَدَيْه » للزمان .

يقول : إن الزّمان يعد بخروج المهدى بعد ابن العميد ، فكأنّ الزمان يخْدعنا عن هذا الحاصل ويمنينا بالغائب .

٣٤ هَلِ الْخَيْرُ شَيْءٌ لَيْسَ بِالْخَيْرِ غَائِبٌ
أَمِ الرُّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرُّشْدِ ؟ !

تقديره : هل الخير شيء غائب ، ليس بالخير الحاضر[3] ، وكذلك فى الرّشد .

يقول : هل هنا خير ورشد غائبان ، غير هذا الخير والرّشد اللّذَيْن نشاهدهما

(١) يريد بالمهدى الإمام العادل الذى وعد به النبى ﷺ يأتى فى آخر الزمان . ويخرج فى زمنه عيسى ابن مريم . انظر التبيان والعرف الطيب .

(٢) فى النسخ : « هو الهدى » .

(٣) ق : « بالغيب حاضر » .

الآن ، حتى ندع هذا الحاضر للغائب الذى لا حقيقة له ، فكذلك لا نترك المهدى الحاضر للغائب المنتظر[١] .

٣٥- أَأَحْزَمَ ذِى لُبٍّ وَأَكْرَمَ[٢] ذِى يَدٍ وَأَشْجَعَ ذِى قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِى كَبِدِ

الهمزة للنداء ، « وأكرم » : تفخيمًا أو تقريرًا[٣] لمناقيه فكأنه قال : يا أحزم الناس ، وأكرم الناس ، وأشجع الناس ، وأرحم الناس .

٣٦- وَأَحْسَنَ مُعْتَمٌّ جُلُوسًا وَرِكْبَةً عَلَى الْمِنْبَرِ الْعَالِى أَوِ الْفَرَسِ النَّهْدِ

[٣٥٥ - ١] الفرس النّهد : المشرف .

يقول : يا أحسن[٤] من يلبس العمامة فى حال ما يجلس على المنبر العالى عند الخطبة ، على ما جرت به عادة الملوك فى صدر الإسلام ، وقيل : أراد بالمِنْبر : سرير الملك ، ويا أحسن[٤] من يلبس العمامة فى ركوبه[٥] على الفرس .

٣٧- تَفَضَّلَتِ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ

يقول : يا أيها الموصوف بالخصال المذكورة[٦] ، إن الأيام ابتدأتْنى بالإحسان ، فجمعَتْ بيننا ، فلمّا حمدناها[٧] لم تدمْنا على هذا الحمْد ، بل أذنت فى انصرافى عنك ! وجعل الحمد منهما جميعًا : أى كنتَ تحبّ الاجتماع معى ، كما كنت أحبّه ، فلكلّ واحد منّا حمِدَ الأيّام على اجتماعه مع صاحبه ، وهذا تعظيم منه لأمر نفسه كما هو تعظيم للممدوح[٨] .

(١) يريد : الخير والرشد ظاهران فى الممدوح ، فما ينتظر فى المهدى حاصل فيه ، فهو إذن المهدى .

(٢) ع : « وأسمح » .

(٣) ع : « وتعديدًا » مكان « أو تقريرا » .

(٤) ع : « ما أحسن » .

(٥) ق : « جلوسه » مكان « فى ركوبه » .

(٦) ع : « بانحصار الأمور المذكورة » .

(٧) ع : « حمدنا على تفضلنا » .

(٨) ع : « وهذا تعظيم منه لا من نفسى كما هو تعظيم لا من الممدوح » تحريفات .

٣٨- جَعَلْنَ وَدَاعِي وَاحِدًا لِثَلَاثَةٍ : جَمَالِكَ وَالْعِلْمِ الْمُبَرِّحِ وَالْمَجْدِ

أى جعلن الأيام وِداعى وداعًا واحدًا ، أودّع به ثلاثة أشياء فى وقت واحدٍ : جمالك ، وعلمك ، ومجدك .

وقوله : « والعلم المبرّح »[1] أى الزائد على سائر العلوم .

٣٩- وَقَدْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِي يُعَيِّرُنِي أَهْلِي بِإِدْرَاكِهَا وَحْدِي

أى : أدركت المنى بلقائك ، غير أن أهلى يعيّرونى إذا لم أشاركهم فيما نلته ، فأرجع إليهم لأشاركهم[2] .

٤٠- وَكُلُّ شَرِيكٍ فِي السُّرُورِ بِمُصْبَحِي أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي

المُصْبَح : الإصباح[3] . والهاء فى « بَعْدَه » راجعة إلى كلّ شريك . وفى « مثْله » لابن العميد .

يقول : كل من شاركنى من أهلى فى السرور بمُصْبَحِي عندهم ، فإنّى إذا فارقته رأيت بَعْده ، ولا يرى مثله إذا فارقنى ، فإنّى أعتاض عن فراقه ملكًا يغنينى ولا يعتاض هو من فراق أحدًا ، فلا أمنعه السُّرورَ بما أستفيده .

كأنّه يشير إلى أنه يرجع إليه .

٤١- فَجُدْ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَإِنَّنِي أُخَلِّفُ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضْلُهُ عِنْدِي

أى : هب لى قلبًا أرتحل به عنك ، فإنى أترك قلبى عندك ، من فضلك الذى عندى .

---

(١) قال ابن جنى : العلم المبرح : هو الذى يكشف عن الحقائق من قولهم برح الخفاء أى انكشف الأمر . قال الواحدى : ولم يصف أحد العلم بالتبريح غير أبى الطيب . إنما يقال : وجد مبرح ويستعمل فيما يشتد على الإنسان . الواحدى .

(٢) ع : « لأشاركهم فيه » .

(٣) ق ، ع : « المصبح : المصباح » والتصويب عن رواية ابن جنى . الواحدى .

٤٢- فَلَوْ فَارَقَتْ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتَهَا[١] لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ

أى : لو فارقت نفسى الحياة[٢] وآثرتك عليها لصوبْتُ رأيها فى اختيارك وما ذممت عهدها[٣] فى هذه المفارقة .

(١) الواحدى : « ولو فارقت جسمى إليك حياته » وكذا فى الديوان .
(٢) فى النسخ : « لو فارقت الحياة نفسى » والتصويب من الواحدى والتبيان .
(٣) ق : « وآثرتك بها لصوبت رأيها وما ذممت عهدها » .